النمط الأثري الصحراوي
وعلاقته بمرتفعات جنوبي الجزيرة العربية وبتهامة وعُمان

عبد الرزاق راشد المعمري

ملخّص: فرَدنا في دراسة سابقة ثقافتين للعصر الحجري الحديث في الجزيرة هما: ثقافتي الشطائر والشظايا، إضافة إلى مجموعة من الأنماط الأثرية، أحدها النمط الصحراوي أو العصر الحجري الحديث الصحراوي، والذي مثَّل القسم المتأخر من العصر الحجري الحديث، وقسَّمناه، كذلك، إلى مرحلتين. وفي هذا البحث وجدنا أن الرؤوس الخاصة بهذا النمط تتواجد في بعض المرتفعات الجنوبية الغربية وهضبة حضرموت وتهامة وعُمان؛ وأن معظم الجزيرة العربية أخذت تتشكل، على أساس هذا النمط، في وحدة ثقافية، وربُّما عرقية في العصر الحجري الحديث المتأخر، محتملين أن يكون هذا النمط قد أدَّى دوراً رئيسياً في تشكل الجنس العربي، وإلى جانبه فردنا في هذا البحث اتجاهاً أثرياً آخر يُعد في الأصل من بقايا ثقافة الشطائر، ولكنه تأثر بالنمط الأثري الصحراوي. أمَّا النمط المهري الذي فردناه، ضمن تلك الأنماط في السابق، للمَهرة وظفار فقد صار بالإمكان إفَراده الآن في حضرموت، وهو يمثل المركز الثقافي الثاني في تلك المناطق الثلاث، وإلى جانب هذين المركزين الرئيسيين توجد اتجاهات أثرية أخرى، تبدو أنها ثانوية.

Abstract. *In a previous research (Rashed 1993b) the author distinguished two types of neolithic cultures in Arabia, and a number of archaeological patterns. The Neolithic of Arabian Peninsula is divided into two periods and the "Desert Neolithic" presents the Late Neolithic Period. The latter is also divided into two phases. This paper pursues the movement of the "Desert Neolithic" in the Highlands, Hadramaut, Oman, and Tehama. It has been concluded that Arabia began to acquire its unified ethno-cultural form in the Late Neolithic period. In addition, a new variant influenced by the Desert Pattern has been distinguished. The Neolithic Pattern of Mahra, which was concentrated in the area of Mahra and Dofar, is now found in Hadramaut. Therefore, we can consider this region as the second cultural centre.*

يتناول هذا البحث الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة في المرتفعات الجنوبية الغربية من الجزيرة العربية، إضافة إلى تهامة وهضبة حضرموت وعُمان (الخريطة ١)، وهي الأدوات التي فردنا بها، في السابق، النمط الأثري الصحراوي، أو العصر الحجري الحديث الصحراوي. ومن الطبيعي أن هذه الرؤوس رافقها العديد من الأدوات الحجرية الأخرى، ولكن لن نتناولها في هذا البحث.

كما يستند البحث إلى المصادر التي سنقوم من خلالها بإفراد اتجاه أثري جديد في المنطقة الشرقية؛ وكذا إفراد النمط الأثري المهري، أيضا، في هضبة حضرموت؛ إضافة إلى ربط جذور الأدوات القزمية، المصنوعة من خام الأوبسديان، غالباً، في حضرموت ومن الصوّان في ظُفار، بتقنية الشطائر (Blades) المصنوعة، من خام الأوبسديان نفسه، التي عُثر على مواد كثيرة منها، أخيراً، في حضرموت.

أما هدف البحث فيتمحور في تحديد علاقة هذه الرؤوس المعنَّقة في المناطق، سالفة الذكر، بمثيلاتها في الصحراء، مع محاولة إبراز خصائصها في المناطق المذكورة، وكذا تقديم نماذج جديدة من هذه الرؤوس للتدليل بها على انتشارها في المرتفعات الجنوبية الغربية، وأخيراً استخلاص النتائج المترتِّبة على هذه العلاقة، وعن الأنماط الأثرية الأخرى التي ستذكر في هذا البحث، أيضاً.

نقصد بالرؤوس المستدقة: الرؤوس غير (الثلاثية)، فهي قد تكون مستدقة في مقطعها العرضي بشكل تام بكل ما يعنيه هذا المفهوم من معنى، وقد تكون محدَّبة من جهة واحدة أو من الجهتين، ولكنها تدخل تحت هذا المفهوم أيضاً، من حيث المبدأ، بوصفها غير ثلاثية الأوجه. وللدقة أكثر في التعبير عن هذه

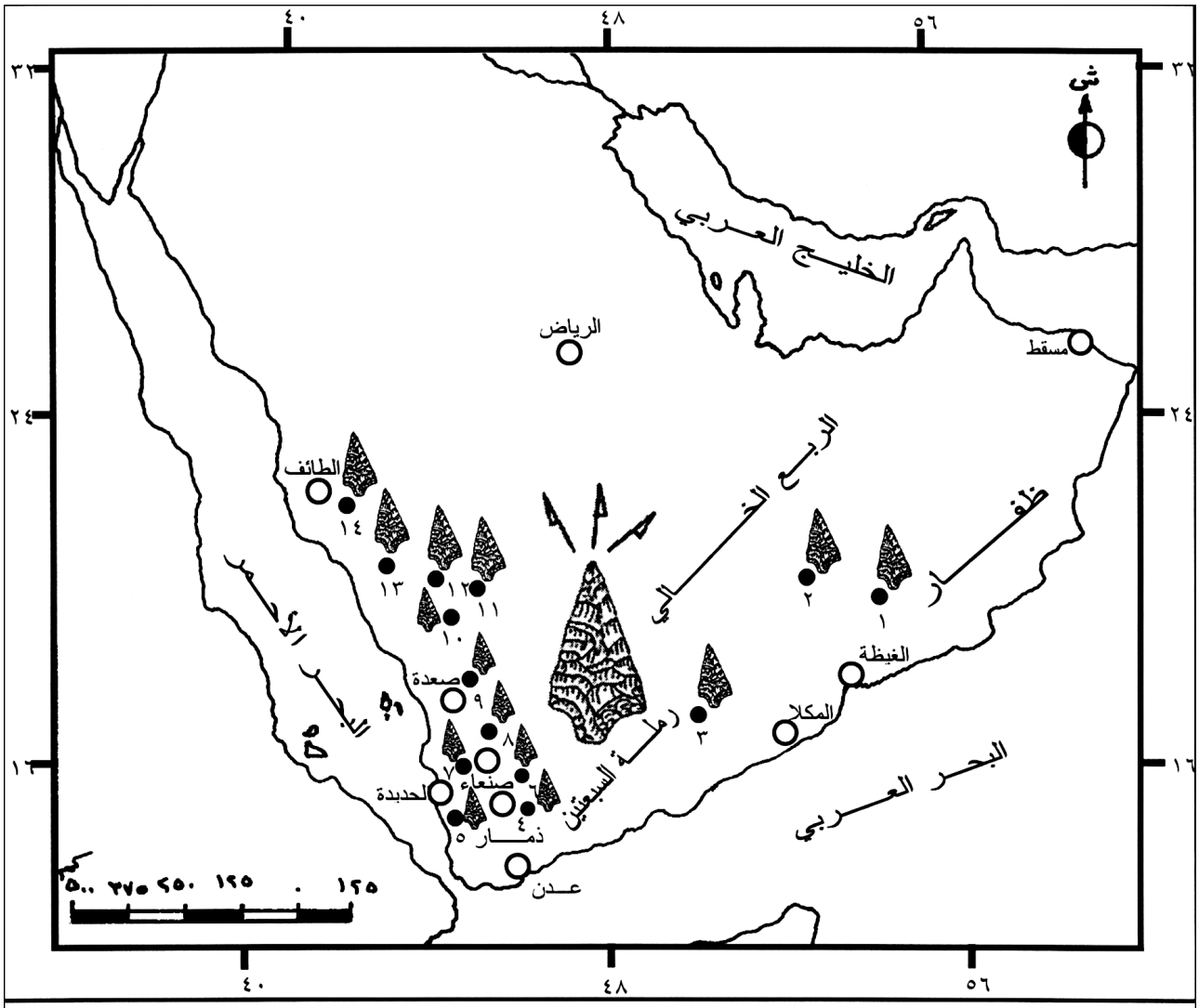

○- مدن رئيسة؛ ▲- انتشار الرؤوس الصحراوية العربية؛ ▲- الرؤوس الصحراوية العربية في موطنها الأصلي في الربع الخالي ورملة السبعتين؛ ▲- مناطق انتشار الرؤوس الصحراوية العربية خارج نطاق الصحراء في الأجزاء الجنوبية: ١- ظفار، ٢- ابن حمودة في عمان؛ ٣- وادي سنا في حضرموت؛ ٤- هضبة ذمار؛ ٥- جنوبي الحديدة؛ ٦- جبل قطران في الحدا ووادي الثيلة في خولان؛ ٧- وادي ضهر، ٨- شبام الغِراس (حوض صنعاء)؛ ٩- صعدة؛ ١٠- ظهران اليمن أو (ظهران الجنوب)؛ ١١- بئر حما؛ ١٢- وادي تثليث؛ ١٣- بيشة؛ ١٤- حرة نواسف (تربة، وقير، خُرمة) في الطائف.

خارطة ١: مناطق انتشار الرؤوس الصحراوية العربية خارج نطاق الصحراء في الأجزاء الجنوبية من الجزيرة العربية.

الرؤوس المحدَّبة، يمكن أن ت سمَّى المستدقة المحدَّبة من جهة واحدة أو من الجهتين.

ونقصد بالعُنق: مقبض أو (عَقب) التثبيت في حالة اقترانه بأكتاف واضحة المعالم في الرؤوس التي سمَّيناها الرؤوس المعنَّقة، أمَّا الريشة فنعني بها الجزء الباقي من الرأس الذي يلي العنق مباشرة (لوحة ٣: ٣)، وقد استخدمنا هذه المفاهيم وغيرها في دراسات سابقة (المعمري: ٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢).

و قبل ذلك، كنَّا قد اقترحنا ت سمية هذه الرؤوس بالرؤوس (المجنِّحة)، أيضاً، (المعمري ١٩٩٥: ١٠٤)؛ ولكن وجدنا، أخيراً، أن استخدام مفهوم الرؤوس المعنَّقة، ينسجم مع ت سميات أخرى لأجزاء كثيرة في هذه الرؤوس، أثناء القيام بالدراسات الدقيقة التفصيلية، ومنها الأجزاء الموضَّحة في (لوحة ٣: ٣)، والتي سنستخدمها في هذا البحث، علماً بأن مثل هذه الرؤوس كانت قد صُنِّفت بمقدار درجة زاوية أحد الكتفين إلى ثلاث مجموعات في الصحراء الأفريقية الكبرى (Hugot 1957).

فقد بدأ العُثور على الرؤوس المعنَّقة المرقَّقة من الجهتين في الربع الخالي منذ وقت مبكِّر، نسبياً، من القرن الماضي (Bunker 1953, Zeuner 1954, Field 1958, Smith & Marangjian 1962; Gramly 1971; Sordinas 1973, 1978, Takeshi 1981). وكذا في شرقي الجزيرة العربية (Kapel 1967; Masry 1974; Inizan 1988; Potts et. al. 1978). ووسطها، أيضاً، بما في ذلك منطقتي نجد والحجاز (Zarins et. al. 1979, 1980; 1981).

وكان هؤلاء الباحثون يطلقون على هذه الأدوات العصر الحجري الحديث في الربع الخالي أو في المنطقة الصحراوية؛ بل يرون فيها العصر الحجري الحديث كله في أغلب مناطق الجزيرة، وينسبون الأصول الثقافية لهذا العصر إلى القارة الأفريقية (Zeuner 1954; Caton-Thomson 1954; Gramly 1971; Smith & Marangjian 1962; McClure 1971)، بما في ذلك التهذيب المرقَّق من الجهتين على الأدوات الحجرية، بوجه عام، الذي عدُّوه سمة رئيسية من سمات الرؤوس المعنَّقة، أيضاً.

فقد نسب الإيطال الرؤوس، التي عثروا عليها، في جبل (قَطْران) في الحدا في المرتفعات الجنوبية الغربية إلى وسط الجزيرة والصحراء، حسب تعبيرهم، استناداً إلى التهذيب المرقَّق من الجهتين، عادّين، كذلك، أن هذا التهذيب من سمة الرؤوس المعنَّقة، سالفة الذكر. وفي الوقت نفسه فقد وصفوا هذه الأدوات بأنها تمثل اتجاهاً ثقافياً في تطور العصر الحجري الحديث؛ بينما الأدوات التي ندر فيها كل من التهذيب المرقَّق من الجهتين والرؤوس، بوجه عام، تمثِّل الاتجاه الثقافي الثاني في وادي الثيلة في خولان، وفي المرتفعات بوجه عام. وأعادوا الاتجاه الأخير إلى مرحلة متأخرة من العصر المذكور، مقارنة بالاتجاه الأول. وفي ذلك إشارة، أيضاً، إلى أن الاتجاه الأول كأنه يمثل العصر الحجري الحديث المبكِّر؛ بينما يمثِّل الاتجاه الثاني العصر الحجري الحديث المتأخر في المناطق سالفة الذكر.

أضف إلى ذلك أن الإيطال عندما نسبوا أدوات جبل قَطْرَان إلى الصحراء بالرؤوس المعنَّقة العربية والتهذيب المرقَّق، لم يقدِّموا نماذج من هذه الرؤوس سوى رأسين، يمكن للباحث نفسه أن يضمر في أنهما معنَّقين، وبالأخص واحد منهما، يمكن عده من ذوات الأكتاف بالآباط المنفرجة الزاوية (Fedele 1988). بينما الرأس النموذجي الشبيه بالرؤوس المعنَّقة في الربع الخالي ووسط الجزيرة عُثر عليه في وادي (الثَّيْلَة) في خولان؛ ولكن أدوات وادي الثَّيْلَة عُدَّت أنها خاصة بالمنطقة الجبلية (Fedele 1988: 36-37)، وسنتحدث عن الرأسين في الفقرة الخاصة بالرؤوس المعنَّقة في الحدا وخولان وتهامة.

النمط الأثري الصحراوي في العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية

ففي عام ١٩٩٣م، فَرَدنا في رسالة الدكتوراه، التي كانت مخصصة لموضوع العصر الحجري الحديث في جنوبي الجزيرة العربية (Rashed 1993b) التي لم تنشر إلى الآن، ثقافتين للعصر الحجري الحديث، إحداهما ثقافة الشطائر في شمالي الجزيرة وشرقيها، والأخرى ثقافة الشظايا في الجنوب (Rashed 1993b: 20, 291, 299; 1993c: 18؛ المعمري ١٩٩٥: ١٠٨)، وأطلقنا على الأخيرة ا سم (ثقافة الشظايا العربية) تأكيداً لمنشأها المحلي في الجزيرة (المعمري ٢٠٠: ٢٦)، ويمكن أن تُ سمَّى، كذلك، الثقافة المحليِّة أو (الجنوبية)، (لوحة ١، ٢).

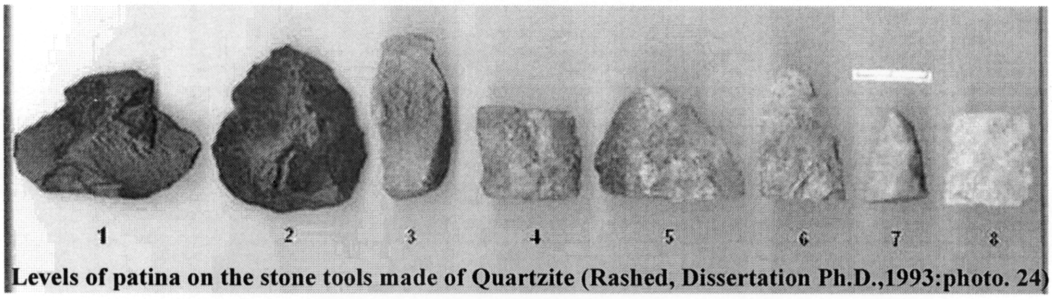

Levels of patina on the stone tools made of Quartzite (Rashed, Dissertation Ph.D.,1993:photo. 24)

أ- A: مستويات البلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من الكوارتزيت.

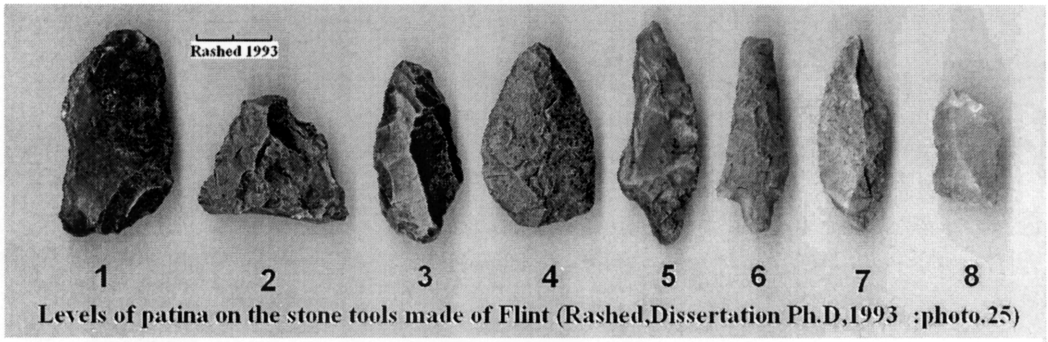

Levels of patina on the stone tools made of Flint (Rashed,Dissertation Ph.D,1993 :photo.25)

ب- B: مستويات البلى على الأدوات الحجرية المصنوعة من الصّوان.

The divison of the Arabian Neolithic of the Flake Culture according to chronological relative order of patina (Rashed,Dissertation Ph.D,1993 :photo.26)

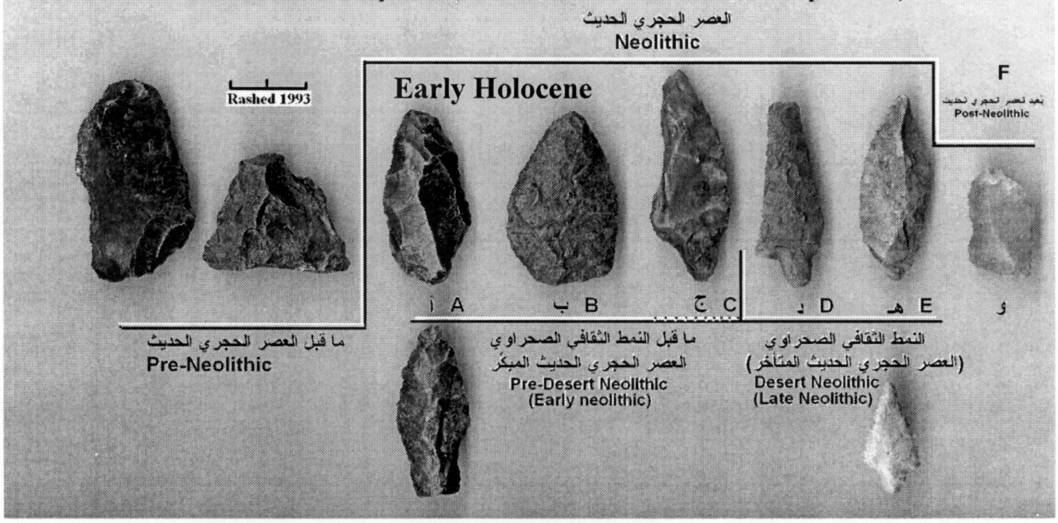

ج- C: التقسيم المرحلي للعصر الحجري الحديث في ثقافة الشظايا الذي أظهره الترتيب الزمني النسبي بالبلى في عام١٩٩٣م.

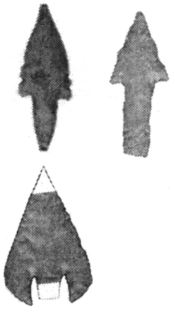

لوحة١- الترتيب الزمني النسبي بالبلى ودوره في إظهار خصائص العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا ومبدأ تقسيمه، من خلال تحديد الرؤوس الخاصة بـ" العصر الحجري الحديث الصحراوي" في المجموعة (د)، نقلاً عن: (رسالة الدكتوراه لكاتب هذا المقال Rashed) (1993b، وقد أغني هذا الترتيب بإضافات جديدة مؤخراً (المعمري ٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢).

Pl.1-Chronological relative order of patina discovered the development and division of the Arabian Neolithic of the Flake Culture on the basis of the location of the points of " Desert Neolithic" in group D. This method was worked out in 1993, (Rashed, 1993b: 64-76, photo: 24-26, pl. 80, 86, 98). New facts were added to it in 2000; 2002 (المعمري ٢٠٠٠؛ ٢٠٠٢).

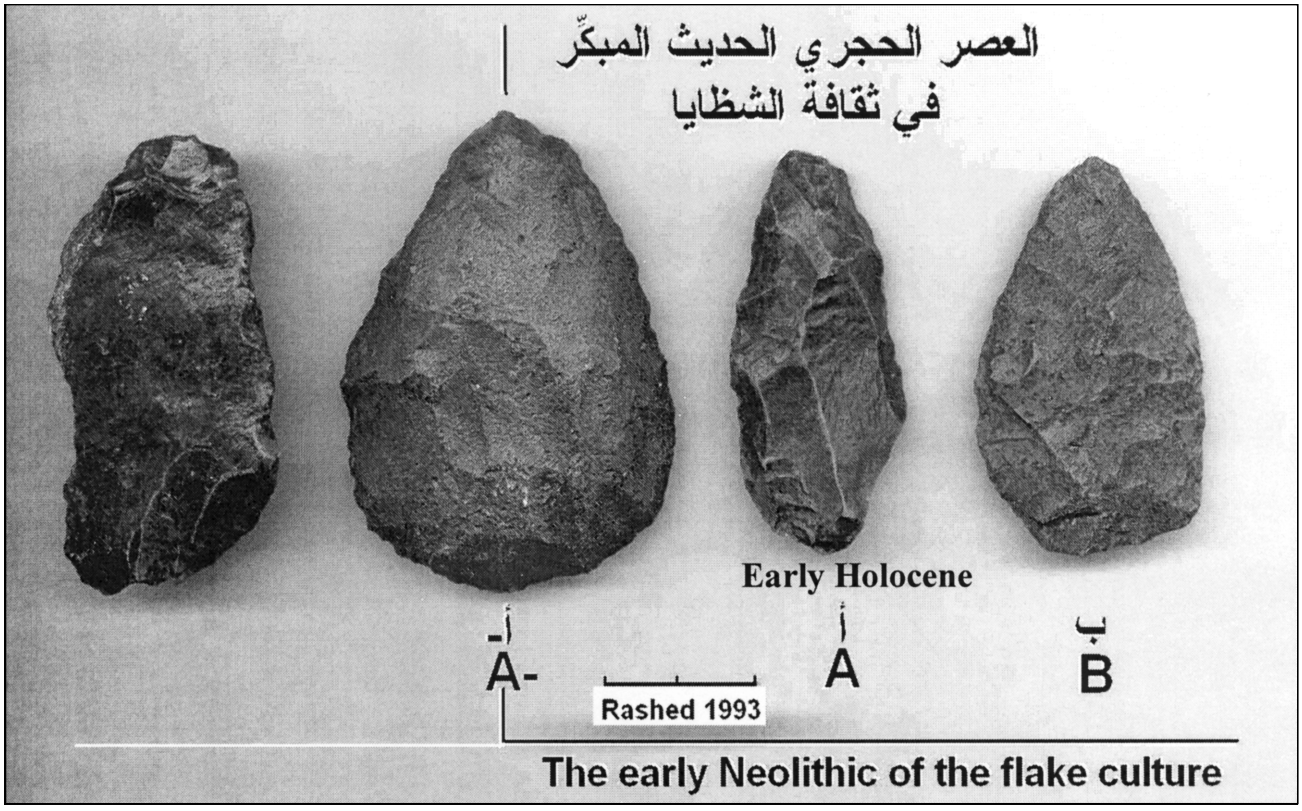

لوحة ٢: أ: توضيح للوحة١: (أ-ب) المرحلة المبكرة من العصر الحجري الحديث (Rashed 1993) (المعمري٢٠٠)، أما المجموعة (أ-) فقد أضيفت إليه في عام ٢٠٠٢ (المعمري٢٠٠٢).

وإضافة إلى ذلك، فردنا مجموعة من الأنماط الأثرية في نطاق ثقافة الشظايا، منها النمط المهري (شكل ٢) والنمط الصحراوي أو "العصر الحجري الحديث الصحراوي" (وهو المفهوم الذي استخدمناه بهذه الصيغة وبين قوسين، أيضاً، إلى جانب مفهوم النمط الصحراوي، بعد أن اتضح بأنه يتميَّز بخصائص محدّدة، مقارنة بمواد أخرى، بما في ذلك في الصحراء نفسها، وبأن ظهوره مرتبط بالربع الخالي ورملة السبعتين، وبأنه كذلك لا يمثل إلاَّ مرحلة متأخرة من العصر الحجري الحديث) (Rashed 1993c: 4, ,13, 17) (لوحة ١: ج)، ونعتقد أن لهذا النمط علاقة بالرؤوس التي سنتناولها في هذا البحث، أيضاً.

فقد ظهرت هذه النتائج من خلال طريقة في الدراسة جمعت بين الجوانب التقنية والنوعية في المصنوعات الحجرية وبين ترتيب زمني نسبي لمستويات البِلى على هذه المصنوعات في المنطقة الصحراوية. وقد أجريَت تلك الدراسة، أيضاً، من خلال موقع أثري واحد، لتكون النتائج أكثر دقة، وبعدها في مواقع أثرية أخرى.

فقد عمل هذا الترتيب على التدقيق في مميزات الأدوات، التي كانت تنسب إلى العصر الحجري الحديث في الصحراء، أو أحياناً إلى الربع الخالي، محدِّداً تلك المميزات بالرؤوس المعنَّقة المرقَّقة من الجهتين المستدقة الريشة. أمَّا التهذيب المرقِّق الذي كان يُربط بها، وبأدوات هذا العصر، فقد ثبت أنه موجود، أيضاً، على مواد حجرية أخرى أقدم من أدوات هذا العصر، أيضاً. كما عمل ذلك الترتيب، أيضاً، على تحديد زمن ظهور هذه الرؤوس، بدءاً بالمجموعة (د) أو (D)، حينذاك، وانتهاءً بالمجموعة (و) أو (F) لوحة ١: ب : (٦) (لوحة ١: ج : د- و) (لوحة ٢: ب). وفي الوقت نفسه فقد أظهر ثلاث مجموعات حجرية أخرى سابقة في الظهور عن هذه الرؤوس المعنَّقة، ومرتَّبة، حسب قدمها، من الأسفل إلى الأعلى: (أ، ب، ج) أو (A, B, C) لوحة ١، ٢: أ).

ومنذ ذلك الحين، اتضح أن الرؤوس المعنَّقة لا تمثِّل إلاَّ

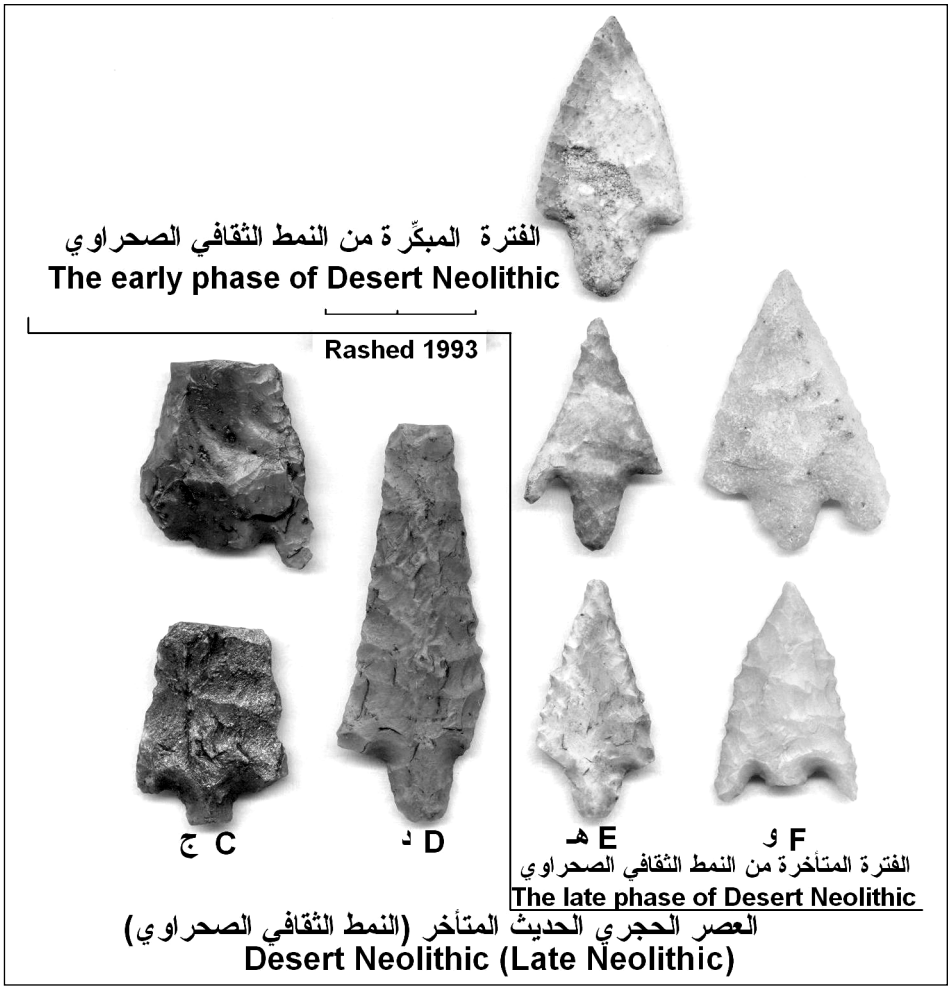

لوحة ٢-ب: توضيح للوحة ١: (د-هـ) "العصر الحجري الحديث الصحراوي" وهو العصر الحجري الحديث المتأخر) (Rashed 1993) (المعمري٢٠٠)، مع إضافات جديدة إليه ومنها الرأسان في المجموعة (ج) (المعمري٢٠٠٢).

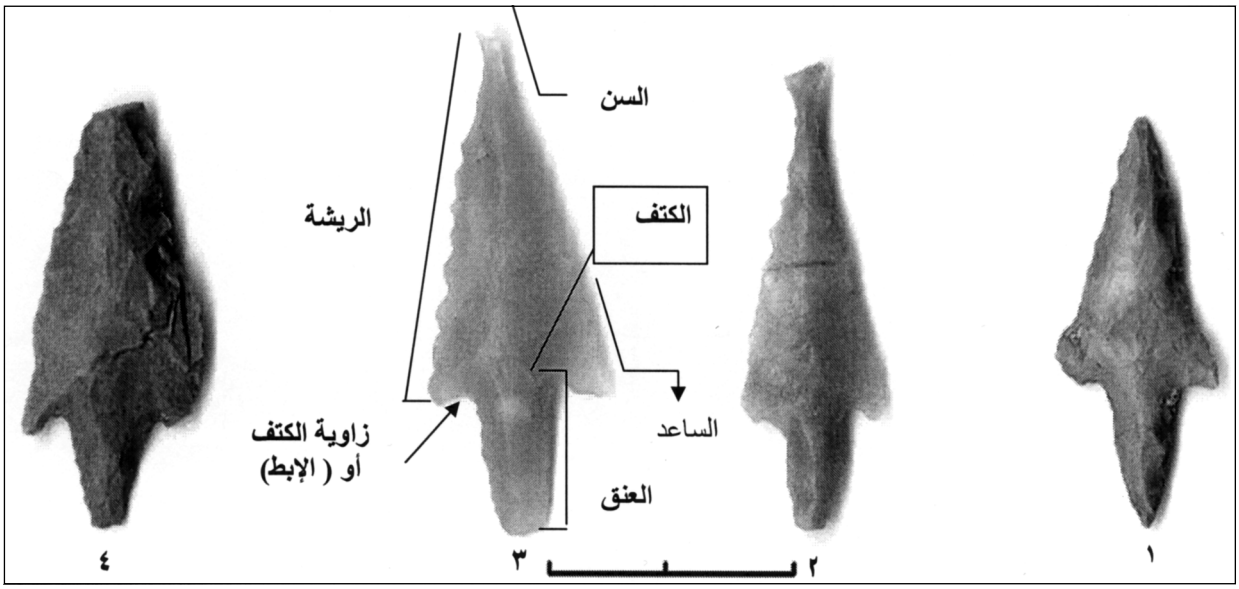

لوحة ٣: من الرؤوس الصحراوية العربية أو (الرؤوس المعنَّقة المنتمية للنمط الأثري الصحراوي) من شعبة سُليم في وادي ضهر (حوض صنعاء).

مرحلة متأخرة من تطوُّر العصر الحجري الحديث، وأن الأدوات السابقة لها في المجموعات (أ، ب)، على وجه الخصوص، تمثِّل مرحلة قديمة من العصر نفسه، ولم تكن هذه المرحلة، أيضاً، معروفة من قبل لدى الباحثين.

فمن خصائص المجموعتين (أ، ب) الرؤوس غير المعنَّقة، إضافة إلى التهذيب المرقِّق من الجهتين الذي اتضح، كذلك، أنه من خصائص المرحلتين المبكِّرة والمتأخرة، معاً، في العصر الحجري الحديث لثقافة الشظايا (لوحة ١، ٢) وليس محصوراً على مرحلة الرؤوس المعنَّقة، كما كان يُفهم منه من قبل (لوحة ١، ٢)، (Rashed 1993a: 31, fig. 1; 1993b: 64-76, 286-307, Photo: 24- 26, fig. 1).

وقد سمح لنا هذا الاكتشاف أن نُعبِّر منذ ذلك الحين، أيضاً، عن هذه المصنوعات بمفهوم ثقافة أثرية، وهي (ثقافة الشظايا)، كما سلف الذكر. وكذا عن المواد التي صُنعت من شظائر حجرية في شرقي الجزيرة وشماليها بمفهوم ثقافة أثرية أخرى، وهي (ثقافة الشظائر)، بعد أن اتضح أن المصنوعات الحجرية من شظايا في الجنوب شملت العصر الحجري الحديث المبكِّر والمتأخر ولا علاقة لها، في الأصول الأثرية، بمصنوعات الشظائر في شمالي الجزيرة وشرقيها (Rashed 1993b: 20, 291, 299) (المعمري ١٩٩٥: ١٠٨؛ ٢٠٠؛ ٢٠٠٢).

وبحسب توفُّر التواريخ المطلقة، حينذاك، (McClure 1979: 755) أعدنا بصورة افتراضية مواد المجموعتين (أ ، ب) (لوحة ١: ج) إلى الألف التاسع ق.ح، على أقل تقدير (Rashed 1993c: 16). وفي وقت لاحق، افترضنا أن تاريخ المجموعة (أ) يرجع إلى الألف العاشر ق. ح (المعمري ٢٠٠٢: ٤١)، بناءً على تواريخ لعصر الهوليسين المبكِّر أيضاً، (Zarins et. al., 1979: 20).

بينما أعدنا بداية النمط الأثري الصحراوي، بدءاً من المجموعة (د) أو (D)، إلى الألف الخامس ق. م، استناداً إلى أقدم تاريخ للرؤوس المعنَّقة الخاصة بهذا النمط عُرف في المنطقة الشرقية، حينذاك، (Masry 1974: 223)، مرجِّحين، في الوقت نفسه، أن بداية هذه الرؤوس المعنَّقة في الربع الخالي قد تكون أقدم من هذا التأريخ. ومن ثم، فإن هذه البداية قد تكون مرتبطة بالمجموعة (ج) أكثر منها في المجموعة (د)، وهذا ما وجدناه بالفعل في الأبحاث اللاحقة (المعمري ٢٠٠٢).

فقد كانت المجموعة (ج) تحتوي، في ذلك الوقت، على رؤوس معنَّقة ثلاثية الأوجه دون الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة. والجدير بالذكر، التأكيد هنا أن ثقافة الشظايا وجدت فيها، أيضاً، رؤوس ثلاثية، على الرغم من قِلَّتها. وقد سجلت المعنَّقة منها بدءاً من المجموعة المذكورة. فربطنا هذا المجموعة بالتأريخ (٧٩٣٥ × ٩٥) (Rashed 1993c: 16)، وهو تأريخ الطبقة الرابعة في موقع حبروت في هضبة المهرة والتي وجد فيها، أيضاً، رأساً واحداً ثلاثي الأوجه، مع أنه غير معنَّق وأن الرؤوس الثلاثية في النمط المهري تختلف، في بعض الخصائص، عن الرؤوس الثلاثية التي توجد، أيضاً، في ثقافة الشظايا، ومنها التي صاحبت النمط الصحراوي، أيضاً.

وقد كنَّا نعتقد أن هذا التأريخ ملائم، بسبب قدمه، للمجموعة (ب)؛ أكثر منه في المجموعة (ج)، ولكن لم يكن موجوداً، حينذاك، تأريخ آخر مناسب لهذه المجموعة. وقد ترسّخ هذا الاعتقاد بعد أن وصل تأريخ الطبقة المذكورة، بناءً على معطيات جديدة، إلى (٩٥٦٠ × ١٢٠) (Amirkhanov 1997: 166) وبعد أن وجدنا، كذلك، أن المجموعة (ج) تحتوي، هي الأخرى، على رؤوس معنَّقة مستدقة الريشة، إلى جانب الرؤوس المعنَّقة الثلاثية، إذ صار من غير الممكن الاعتقاد أن يكون تأريخ هذه الطبقة هو تأريخ الرؤوس المعنَّقة في المجموعة (ج)، خاصة المستدقة الريشة (المعمري ٢٠٠٢: ٤٢).

ولكن التواريخ (٧٤٣٢× ٦٠) و (٧٤٠٣× ٧٠) ق. ح التي وصِفت بأنها تواريخ للرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة في هضبة حضرموت (McCorriston et. al., 2000: 13, 16)، يبدو أنها مناسبة للمجموعة (ج)، أي لتأريخ الفترة المبكِّرة من النمط الأثري الصحراوي أو (للرؤوس الصحراوية العربية)، بما في ذلك الرؤوس الثلاثية المعنَّقة التي وجدت في هذه المجموعة.

وفي الوقت نفسه، فإن هذا الترتيب أظهر، بالرؤوس المعنَّقة ذاتها، تقسيماً للنمط الثقافي الصحراوي نفسه، ولم يكن هذا التقسيم معروفاً من قبل، أيضاً. وهو مكوِّن من مرحلتين أو فترتين رئيسيتين: مبكِّرة ومتأخرة، تمثَّلت الفترة المبكِّرة بأدوات المجموعة (د) والمتأخرة بأدوات المجموعة (هـ). فأعدنا تاريخ

المجموعة (هـ) إلى الألف السادس ق. ح، استناداً إلى أوجه المقارنة، أمَّا المجموعة (و) وهي الأخيرة في ذلك الترتيب، التي احتوت على رؤوس معنَّقة، كذلك، فقد أعدناها إلى بُعَيْد العصر الحجري الحديث (لوحة ١: ج)، بتأريخ، يستند إلى أوجه المقارنة، أيضاً، يعود إلى زهاء الألف الثالث ق. ح.

وفي وقت لاحق، أضفنا إلى العصر الحجري الحديث المبكِّر مجموعة جديدة بمستوى جديد من البِلى، مع بعض التحفظات عليها (المعمري٢٠٠٢: ٢٩- ٣٠)، وهي المجموعة (أ-) (لوحة ٢: أ) والتي تُعدُّ من المواد نفسها التي عثرنا عليها في منطقة العَبْر، وقد تركناها في رسالة الدكتوراه خارج نطاق العصر الحجري الحديث؛ لأسباب كثيرة (Rashed 1993b: 271). وكذا فقد زحزحنا بداية ظهور الرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة من المجموعة التي كانت عليها في (د) إلى المجموعة (ج) برأسين معنّقين في ذلك المقال، تطابق فيهما لون البِلى مع الأدوات الحجرية في المجموعة (ج) من ذلك الترتيب، سالف الذكر، فصارت الفترة الأولى أو (المرحلة المبكِّرة) من العصر الحجري الحديث المتأخر أو (النمط الأثري الصحراوي) تبدأ من المجموعة (ج)، وتشمل، في الوقت نفسه، المجموعتين (ج) و (د)، (لوحة ٢: ب)، (المعمري ٢٠٠٢: لوحة ٣).

ويمكن أن يتوسع نطاق هذه المراحل، كذلك، بمستويات جديدة من البِلى على الأدوات الحجرية، ومن ثم فسيزيد عدد المجموعات الحجرية الداخلة في الترتيب الزمني النسبي بمظهر البِلى وسيتغيِّر، كذلك، أماكنها وتواريخها النسبية... الخ. ولكن المبدأ الرئيسي في معرفة تطور أدوات العصر الحجري الحديث وتقسيمه، سالف الذكر، اللذين أظهرهما ذلك الترتيب لن يتغيِّرا كثيراً، كما نعتقد، وهو أن الرؤوس المعنَّقة ظهرت في وقت متأخر عن الرؤوس غير المعنَّقة، ومن ثم فإنها تمثل العصر الحجري الحديث المتأخر؛ بينما الرؤوس غير المعنَّقة السابقة لها تمثِّل العصر الحجري الحديث المبكِّر (لوحة ١، ٢).

ولتميز الرؤوس المُعنَّقة المستدقة الريشة في هذا النمط عن غيرها من الرؤوس المعنَّقة الأخرى، من جهة، وتأكيد انتمائها، من جهة أخرى، إلى ثقافة الشظايا العربية، ولأسباب أخرى، أيضاً، نقترح ت سميتها: (الرؤوس الصحراوية العربية) أو (الرؤوس المعنَّقة العربية) أو باختصار أكثر (الرؤوس العربية).

ففي هذا الا سم اختصاراً لـ: الرؤوس المعنّقة المرقَّقة من الجهتين المستدقة الريشة المجُهَّزة على شظايا حجرية والخاصة بالمنطقة الصحراوية، وعلى وجه التحديد بالربع الخالي ورملة السبعتين، ويعني هذا المفهوم، في الوقت نفسه، أن هذه الرؤوس تختلف عن الرؤوس المعنّقة الثلاثية الأوجه، وكذا عن الرؤوس المعنّقة المستدقة الريشة، أيضاً، سواء التي عُثر عليها مؤخراً في الربع الخالي (McClure 1994) أو تلك التي وجدت في ثقافة الشطائر. وإضافة إلى ذلك، فإن هذا المفهوم يوحي بأن لثقافة الشظايا، أو للنمط الأثري الصحراوي على وجه الخصوص، دوراً في تشكل الجنس العربي، وهو الاحتمال الذي سنشير إليه، كذلك، في الخلاصة والاستنتاجات.

وإلى جانب هذه الت سميات، كنَّا قد عبَّرنا عن هذه الرؤوس في السابق، أحياناً، بمفهوم الرؤوس (الصحراوية) و (الصحراوية العربية) وأحياناً (الرؤوس الصحراوية العربية الجنوبية) وكذا (رؤوس الربع الخالي) (Rashed 1993b: 292-293) (المعمري ٢٠٠٢: ٣٧).

١- الرؤوس المعنَّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في عُمان.

فمن خلال تتبع الرؤوس الصحراوية العربية في داخل الجزيرة وخارجها، خلال كتابتنا لرسالة الدكتوراه، فإن هذه الرؤوس لم تكن معروفة، حينذاك، في عُمان وحضرموت وفي المرتفعات اليمنية، بوجه عام، باستثناء القليل منها في الأخيرة. واستناداً إلى الأدوات الحجرية التي وجدناها في هضبة المَهْرة (شكل ٢) وإلى الأدوات التي نشرت من عُمان (Biagi 1988) فردنا في العمل، سالف الذكر، نمطاً أثرياً للمهرة وظفار العُمانية في العصر الحجري الحديث، سميناه النمط الأثري المَهْري. وقد وجدنا أن هذا النمط يشكّل وحدة ثقافية مشتركة بين المنطقتين المذكورتين، أضف إلى ذلك أننا أشرنا إلى أن ثقافة الشطائر امتدت، هي الأخرى، إلى أجزاء من عمان (Rashed 1993b: 283, 291- 293, fig. 44; 1993c: 17) (المعمري ١٩٩٥: ١٠٦).

وأخيراً نشرت من عُمان ستة عشر رأساً معنَّقاً، مرقَّقة من الجهتين، ثمانية رؤوس من موقع (ابن حمودة) (Zarins 1998:

(fig.16: 39A- 39f, 39h- 39i, fig. 18) (شـــكل ١: ٩-١٦) وثمانية رؤوس مختارة من مواقع في ظفار (Zarins 1998: fig 19) الصف الثالث في لوحة ١٩ من المصدر المذكور) (شكل ١: ١٧- ٢٤)، شبيهة بالرؤوس في النمط الأثري الصحراوي.

ويبدو أن في مجموعة ابن حمودة رؤوساً تنتمي إلى النمط الأثري المهري (شكل ١: ١٠، ١٥) أو أن هذه المجموعة تأثرت ببعض تقاليد النمط الأثري المهري. ومن حيث الحجم، فإن أكبرها يصل إلى (٥,٧× ١,٧× ٠,٩) سم، وأصغرها إلى (٣,٦× ١,٤× ٠,٧) سم. وقد هذِّبت هذه الرؤوس بنقرات غير واسعة المساحة وغير عميقة، أيضاً، وهي شبه مستديرة الشكل أو (حرشفية) (شبيهة بحراشف ال سمك) في الغالب، مع أن الأهداب الطويلة (المِرْوَدِية الشكل) تصادف في بعض هذه الرؤوس.

أمَّا الرؤوس الأخرى التي جُمعت من ظفار (شكل ١: ١٧- ٢٤)، فهي، أيضاً، معنَّقة ومرقّقة من الجهتين، ولكنها تختلف عن مجموعة (ابن حمودة). فهي مستدقة الريشة بشكل تام، في الغالب، وجهِّزت أغلبها على فلق طويلة الحجم ورقيقة ال سمك إلى حد كبير، إضافة إلى اختلاف في سمات التهذيب المرقِّق من الجهتين؛ أيضاً، والذي يُعدُّ من النوع المستوي، في الغالب الأعم، والمِرْودي الشكل والمتوازي أو شبه المتوازي والمتلاقي في المنطقة الوسطي من الأداة، في أغلب الأحيان. ومن حيث الحجم فإن أكبرها يصل إلى (٥,٩× ١,٨× ٠,٦) سم وأصغرها (٢,٧× ١,٥× ٠,٣) سم.

فالرؤوس التي لا نشك في انتمائها إلى النمط الصحراوي في هذه المجموعة هي ذوات الأرقام: (١٧، ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٤ في شكل ١)، فهي منتشرة بشكل واسع في الربع الخالي ورملة السبعتين، بما فيها الرأسان بالأكتاف المُسْبِلة أو (الأسيلة) (شكل ١: ١٧، ١٨) والتي سجِّلت شبيهاتها، كذلك، في شرورة (Edens 1982: pl. 101: 18-19) وفي قَطَر، أيضاً، (Inizan 1988:fig. 51: 5) وقد سجِّلت رؤوس منها في المجموعة (هـ) من الترتيب الزمني النسبي بالبلى (Rashed 1993b: pl. 74). أمَّا باقي الرؤوس فقد تكون من النمط المهري، خاصة الرأسين رقم (٢١- ٢٢)، علماً بأن الرأس رقم (٢١) يُعدُّ فريداً في نوعه، ولم نشاهد منه سوى رأس واحد لم ينشر بعد، ضمن الأدوات، التي عثرت عليها البعثة الفرنسية، في وادي سنا في حضرموت.

وممَّا تجدر الإشارة إليه في هذا السياق، هو أن في ظفار وجدت إلى جانب كل من أدوات النمط المهري، وأدوات النمط الصحراوي، أدوات من نوع آخر، هي أدوات فسد (Fasad)، وكذا أدوات قزمية (Microliths) هندسية الشكل ، تعود إلى فترات متأخرة (Zarins 1998: fig. 18, 33a). وهذه الأدوات القزمية منتشرة، كذلك، في أماكن محدَّدة من حضرموت.

٢- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في هضبة حضرموت.

لقد ذُكر أنه عُثر على زهاء (٣٩) رأساً في وادي سَنا في حضرموت، تعود إلى "العصر الحجري الحديث الصحراوي" (McCorriston et. al., 2000: 18)؛ غير أن الذين عَثروا على هذه الرؤوس لم تكن قد تبلورت عندهم، كما يبدو، بشكل تام أوجه الاختلاف بين خصائص هذا العصر والعصر الحجري الحديث في المهرة (النمط الأثري المهري)، ولنأخذ مثالاً على ذلك ممَّا قدَّموه:

فقد نسبوا الرؤوس الحاملة رسومها للأحرف (G-I) إلى النمط الأثري الصحراوي، مع أن الرأس (G) يُعدُّ من النمط الأثري المهري، أو على الأقل فهو ثلاثي الأوجه ولا يُستنَد إليه، بشكل رئيسي، في تمييز أدوات النمط الصحراوي، وخاصة في مثل هذه الحالات. بينما الرأس (J) الذي يُعدُّ من الأشكال النموذجية، بكل المقاييس، للنمط الأثري الصحراوي لم ينسب إلى هذا النمط (شكل ٣: J) ليس هذا وحسب؛ بل إن الشبه في العنق وفي الأكتاف الموجود بين الرؤوس المعنَّقة العربية (المستدقة الريشة) وبين الرؤوس المعنَّقة المَهرية (الثلاثية) جعلهم في شك واضح. كذلك، من الرؤوس التي كانت قد ذُكِرت من قبلهم أنها شبيهة بأدوات حَبْرُوت، ومن ثم فقد تُركت أغلبية هذه الرؤوس، دون أن تنسب إلى أيٍ من هذين الاتجاهين؟ (McCorriston et. al., 2002: 71, fig. 7).

والأغرب من هذا وذاك، أنهم وجدوا، أخيراً، الشبه للأدوات الشبيهة بأدوات حَبْرُوت ولأدوات حبروت نفسه أيضاً، على حد تعبيرهم، في وادي الثَّيلة في خولان (McCorriston et. al., 2002: 81)، علماً بأن أدوات وادي الثيلة لها مميزات خاصة (Fedele 1988: 36-37) ولا مجال، في هذا الجانب،

لمقارنتها بالنمط الأثري المهري، على وجه الخصوص.

ولذا، فإنه لا بد من التدقيق في عدد الرؤوس التي قِيل بأنها تنتمي إلى النمط الصحراوي. وكذا فإن التواريخ التي ذُكِرت له في هضبة حضرموت (٧٤٣٢× ٦٠) و (٧٤٠٣× ٧٠) ق . ح، (McCorriston et. al., 2002: 71) لا تزال بحاجة إلى مزيد من التوضيح، فهل هي، بالفعل، للرؤوس الصحراوية العربية؟ أم أنها للرؤوس المعنَّقة في النمط الأثري المهري؟. علماً بأن هذه التواريخ تؤكد ما ذهبنا إليه في السابق من احتمال أن الألف الخامس ق. م، كما سلف الذكر، هو تأريخ دخول الرؤوس الصحراوية العربية من الجزء الصحراوي في جنوبي الجزيرة إلى المنطقة الشرقية، وليس لبداية ظهورها في الربع الخالي (المعمري ٢٠٠٠: ٢٦؛ ٢٠٠٢: ٣٢، ٤١-٤٢).

فقد اعتقدنا في السابق أن أدوات النمط الأثري الصحراوي من المحتمل العثور عليها في هضبة حضرموت، وكذا أدوات النمط الأثري المهري، بحكم موقعها الجغرافي بين المهرة والربع الخالي. كما أن الربط بين هضبة حضرموت والمهرة كان قد أشار إليه، كذلك، (أمير خانوف) (Amirkhanov 1997)؛ غير أن المواد الأثرية الحقيقية التي ظهرت، أخيراً، في هضبة حضرموت (McCorriston et. al., 2002: fig.7: A-G, L fig .16; 2004: fig. 9) (Crassard et. al. 2004) صارت ت سمح الآن بفرد هذين النمطين هنا، أكثر من أي وقت مضى.

فالرؤوس الخاصة بفرد النمط الأثري المهري في هضبة حضرموت متوفِّرة فيها جميع السمات الخاصة بهذا النمط في المهرة: فهي في الغالب ثلاثية الأوجه، ومجُهَّزة على فلق حجرية طويلة الحجم، منها الشطائر الحجرية، ومنها الكثير من الفلَق التي فُلِّقت من مناكب النواة، وهي مرقَّقة كذلك، من الجهتين، والتهذيب فيها مرودي الشكل في كثير من الحالات ومن النوع المستوي وشبه المستوي، والواسع أيضاً، أيضاً، في الرؤوس الكبيرة الحجم، فضلاً عن وجود التهذيب السائح أو (المسطّر)

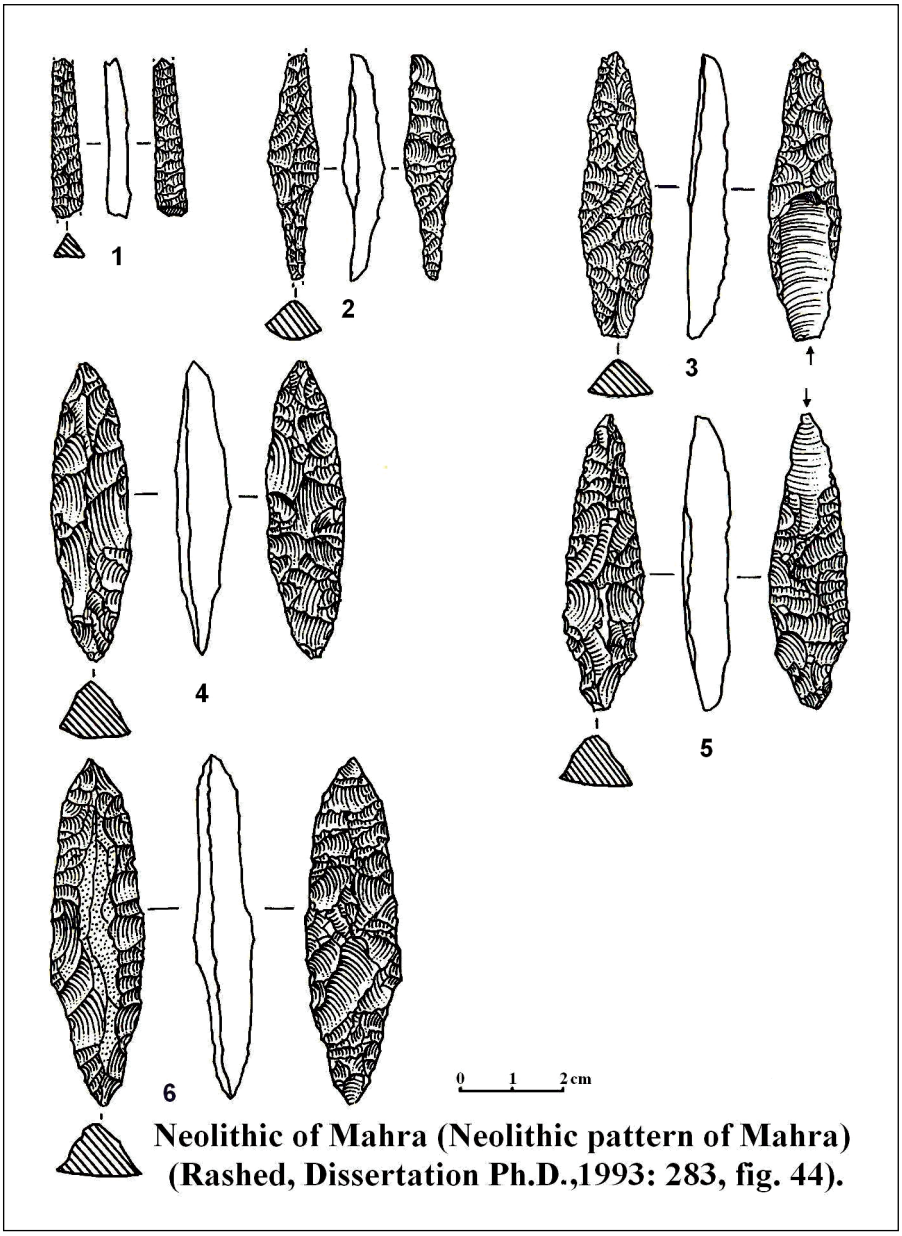

شكل ٢: نماذج من الرؤوس التي فردنا بها النمط الأثري المَهْري أو (العصر الحجري الحديث في المهرة) في عام ١٩٩٣م: ١-٣ من وادي حِبـيْق؛ ٤ من دَثْـكُوت؛ ٥ من كهف حَدْبـيْن؛ ٦ من وادي حَتْ، نقلاً عن رسالة

McCorriston et. al., 2004: fig. 9:) (Fluting retouch) (2000- 000, Gravel Bar- Surface) الذي عددناه من مميزات هذا النمط في المهرة ووصفناه، كذلك، بشكل مفصَّل في دراسات سابقة (Rashed 1993b : 283 19993c: 12, 17) (المعمري ٢٠٠٠: ١٣-١٤).

علماً بأن الأثَافِي (Triliths) أو نظام المواقد بشكل عام، الذي انتشر في المهرة (المعمري ٢٠٠٠: لوحة ٢: ب) وفي أماكن أخرى في الجزيرة والمرتبط بإشعال النار وشواية اللحوم (المضبي) شاهدناه، أيضاً، في حضرموت.

وفي هذا السياق، نُذكِّر بالأدوات القزمية الهندسية الشكل المصنوعة من خام الاوبسديان التي وجدت في حضرموت (Huzayyin 1937: 514; Caton-Thompson 1944; Amirkha-nov 1997: fig. 62)، فهي شبيهة بالأدوات القزمية، التي سلف ذكرها، في ظفار. وكنَّا قد أجرينا لنماذج منها فحصاً بالمِجْهر، فثبت من خلاله أنها استُخدمت في الحياة الزراعية؛ وربطنا بدايتها بزمن ما بعد المجموعة (و) من الترتيب الزمني النسبي بمظهر البِلى، سالف الذكر، (Rashed 1993b: 289-290).

فقد عُثر، مؤخراً، في وادي سنا على مواد حجرية مصنوعة من الأوبسديان (Crassard et. al. 2004) (McCorriston et. al., 2004)، وهي، كما يبدو، أقدم من الأدوات القزمية، سالفة الذكر؛ ولكنها تحمل أغلب ال سمات التقنية التي كانت قد عُرفت من قبل في هذه الأدوات في مرحلة التفليق، ومنها انتزاع الشطائر (Blades) الحجرية من نوي (Cores) خاصة، وبطريقة الضغط واستخدام الوسيط، أيضاً، ولهذا نعتقد أن لهذه التقنية صلة بالأدوات القزمية، سالفة الذكر، والتي كنَّا نبحث عن جذورها الأثرية فيما مضى (المعمري ١٩٩٥: ١٠٧؛ ٢٠٠: ٢٣؛ ٢٠٠: ٤١).

وفيما يخص الرؤوس المعنَّقة العربية في هضبة حضرموت، والتي تنتمي إلى النمط الصحراوي، فإنه إذا استندنا إلى رسوم الأدوات، التي تمكَّنا من الاطلاع عليها حتى الآن، فإن عددها ثلاثة عشر رأساً معنَّقاً، ثمانية رؤوس من وادي (سنا)، نشرت منها ثلاثة، حتى الآن، (McCorriston et. al., 2002: fig. H-J) (شكل ٣: H-J) وخمسة رؤوس شاهدنا رسومها ضمن أدوات من النمط المهري في تقرير أولي (McCorriston et. al., 2004: fig. 9) إضافة إلى خمسة رؤوس نُشرت من و (عُشَة) (شكل ١: ٣١- ٣٣) (Crassard & Bodu: 2004: fig. 9: 1-5).

غير أنه إذا كان الفرق لم يكن واضحاً بشكل جلي، بين هذه الرؤوس والرؤوس المنتمية إلى العصر الحجري الحديث، في المهرة، عند من عثر عليها في وادي سنا؛ فإن هذا الفرق لم يوجد بالكامل، على ما يبدو، عند من عثر عليها في (وعُشَة)؛ بدليل أن الرؤوس العربية وصفت من قبلهم برؤوس معنَّقة ومرقَّقة من الجهتين، فقط، دون أي ذكر للعصر الحجري الحديث الصحراوي أو صلة لهذه الرؤوس به، أيضاً، فضلاً عن ذلك فقد ذهبوا للبحث عن شبه لها في الخليج العربي (Crassard & Bodu: 2004: 77, fig. 9)، تاركين موطنها الشهير في الربع الخالي ورملة السبعتين، وهو الأقرب بكثير، أيضاً، لهضبة حضرموت.

فهذه الرؤوس الثلاثة عشر: جُهِّزت على شظايا حجرية (Flake)، وهي معنَّقة ومن ذوات الريشة المُسْتَدَقة و كذا المستدقة- المحدَّبة ومرقّقة من الجهتين بنقرات حرشفية الشكل مستوية وشبه مستوية، في الغالب، وهي تتطابق مع الرؤوس الصحراوية العربية التي وجدت في الربع الخالي ورملة السبعتين.

٣- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في هضبة ذمار.

وجد بين المواد التي نشرت من موقع (الشرف) رقم (١٥) في هضبة ذمار رأس معنَّق مستدقة الريشة، جهِّز على شظية من الزجاج البركاني ورِّقق من الجهتين، ويبلغ حجمه (٢,٤× ١,٢× ٠,٤) سم (الشكل ١: ٣٦). وقد أعِيدت المنشآت الحجرية في هذا الموقع إلى العصر الحديدي (ويلكنسن وآخرون ٢٠٠١: ١٣٠- ١٣١بم شكل ٥: ١)، كما شاهدنا ر سماً لرأس آخر بين رسوم لمواد حجرية من هذه الهضبة أطلعني عليها (كرستوفر أيدنز)، وهو مستدق الريشة مرقّق من الجهتين، وقد أشرنا إليه في فترة سابقة (المعمري ٢٠٠٢: ٤٢).

وإضافة إلى هذين الرأسين وصِفت لنا مجموعة من هذا النوع لم نتمكن من رؤيتها [1]، وما يهمنا منها هو أن الرؤوس المعنَّقة، سالفة الذكر، تتواجد في هضبة ذمار، وبكمية ت سمح

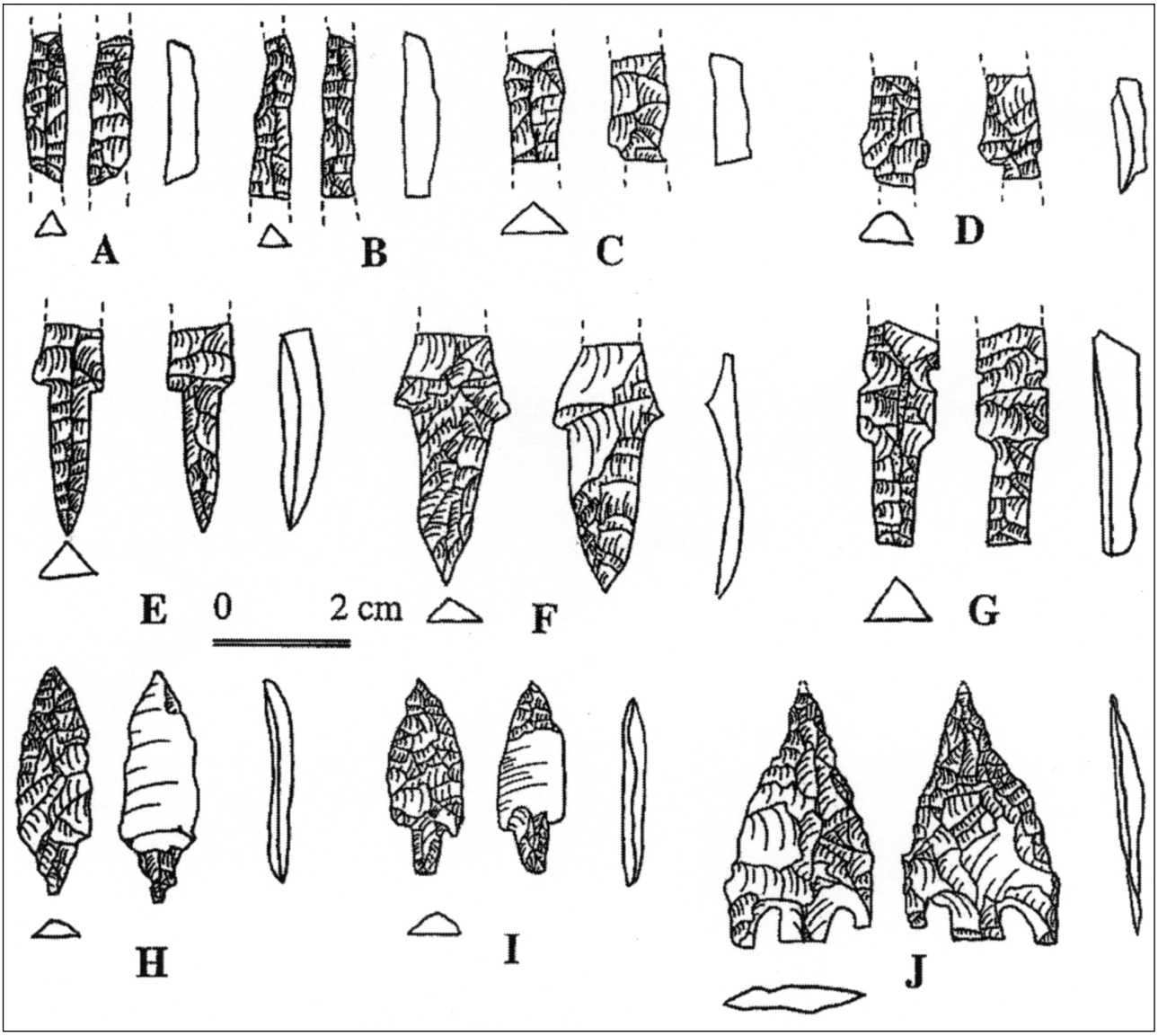

شكل ٣: من الرؤوس التي عُثر عليها في هضبة حضرموت، نقلاً عن (McCorisston et. al.2002): (H-J) - تعود برأينا إلى النمط الأثري الصحراوي، بينما أغلب الرؤوس الأخرى تعود إلى النمط المهري.

بالحديث عن تأثر هذه الهضبة بالنمط الثقافي الصحراوي.

٤- الرؤوس المعنَّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في حوض صنعاء.

بدأنا بالعثور على مواقع حجرية في حوض صنعاء، بدءاً بعام ١٩٩١م (Rahed 1993b: 282) (المعمري ١٩٩١: ٥؛ ١٩٩٦: ٨٨)، وفيما يخص الرؤوس المعنَّقة فهي قليلة العدد، المقارنة مع بوجودها في الصحراء. وكذا فإن هذه الرؤوس تكون صغيرة الحجم ، في الغالب. وقد جهِّزت بعضها على خامات معتمة اللون؛ ويبدو أن هذه الأسباب تجعل الباحثين لا يهتدون إليها بسهولة في هذه المرتفعات.

فقد وصل عدد ما جمعناه منها إلى (٣١) رأساً؛ منها ثمانية رؤوس من شعبة سليم في وادي ضهر (لوحة ٣) وثلاثة وعشرون رأساً من موقع القلات في شبام الغراس (لوحة ٤: ١-٣). وإضافة إلى ذلك، وجدنا بين الأشكال الإيضاحية في رسالة الدكتوراه للباحث الألماني (هايكو) عن وادي ضهر (١٩) رأساً معنَّقاً (Kallweit 1996) (الشكل ١: ٨).

وهذه الرؤوس تتطابق مع مثيلاتها في النمط الصحراوي. ويُعدُّ تأريخ الكربون١٤(٤٩٥٠× ٤٧) ق.ح أو (٣٧٨٢- ٣٦٩٢) ق. م، في وادي ضهر، أحد تواريخ لعصر الحجري الحديث في المرتفعات (Kallweit 2000: 52). ومن المحتمل أن يكون تاريخاً مناسباً لبداية ظهور هذه الرؤوس المعنَّقة في حوض صنعاء.

٥- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي، في الحَدا وخولان وتهامة.

عُرِف رأس واحد من هذه الرؤوس من وادي الثَّيلة في خولان (Fedele 1986: fig. 28) (الشكل ١: ٣٧)، والآخر من جبل قَطْرَان في الحدا (Fedele 1988) والثالث من تهامة (الشكل ١: ٢٧) (Tozi 1986: fig. 34).

فقد جهِّز الرأس الأول على شظية من الصوان، وهو من ذوات الأكتاف الحادة الزاوية والمنتهية بطرفين حادين قصيرين نسبياً ومن ذوات الريشة المستدقة، ويبلغ طوله (٣) وعرضه (١,٨) سم. وجهِّز الرأس الثاني، كذلك، على شظية من الصوان، وهو من ذوات الأكتاف بالآباط المنفرجة الزاوية. وعُثر على الرأس الثالث بالقرب من الدُّريهمي جنوبي الحديدة في موقع (Cahabh)؛ وقد جهِّز على شظية من خام الزجاج البركاني، ومرقَّق من الجهتين بأهداب مرودية الشكل ، وهو من ذوات الأكتاف المستعرضة الشكل بالآباط الحادة الزاوية والريشة المستدقة المقوَّسة والمستعرضة الشكل والعنق المستعرض، أيضاً، (الشكل ١: ٢٧).

وإضافة إلى ذلك، فقد ذكر الباحثون في وسط الجزيرة أنهم وجدوا أدوات مرقّقة من الجهتين في تهامة، من ضمنها رأسان، على حد قولهم، من النوع الذي انتشر في الربع الخالي (Zarins & Zhrani 1985: 68). وبوجه عام فإن هذه الرؤوس تُعدُّ نادرة جداً، حتى الآن في تهامة. ومن أقدم التواريخ للعصر الحجري الحديث في تهامة هو (٧٧٧٠× ٩٥) ق. ح (Tozi 1986: 403) وأحدثها (٤٨١٠× ١٧٠) ق. ح (Zarins and Bader 1986: 40).

٦- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في صَعْدَة.

فمن خلال دراسة الرسوم الصخرية في هذه المنطقة (Garcia & Rachad 1997)، عُرفت مجموعة كبيرة من الرؤوس المعنَّقة. وللتدليل على وجودها، سنكتفي بوصف ثلاثة نماذج منها فقط[٢]. واحد من هذه الرؤوس من ذوات الأكتاف بالزاوية الحادة، المنتهية بأطراف متوسطة الطول مستعرضة الشكل ، ويبلغ حجمه (٢× ١,٣× ٠,٤) سم (لوحة ٤: ٥). والرأس الثاني من ذوات الأكتاف المنفرجة الزاوية ويبلغ حجمه (٥,٢× ٢,٨× ٠,٧) سم، ويبدو أنه قديم مقارنة بالرأسين الآخرين، استناداً إلى الحجم الكبير و سمات البِلى وسعة الأهداب (اللوحة ٤: ٤). والرأس الثالث من موقع الفحولين رأس الغول رقم ٣ في منطقة كتاف (رشاد وآخرون ٢٠٠١: شكل ٧)، وهو من ذوات الأكتاف القائمة الزاوية، ويبلغ طوله (٢,٤) سم وعرضه (١,٢) سم. ومن أقدم التواريخ للعصر الحجري الحديث في صعدة هو (٦٢٥٠×٩٠) وأحدثها هو(٣٧٩٠× ٤٠ ق. ح) (Garcia et. al. 1991: 1206).

٧- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في عَسِير وبيشة وحما وتثليث.

انتشرت الرؤوس الصحراوية العربية في نَجْد والحجاز؛ ولكن من المحيِّر جداً أن أدوات العصر الحجري الحديث المبكِّر من ثقافة الشظايا، سالفة الذكر، لم يرد عنها أي ذكر في هذه المواقع، وحتى في المناطق الجنوبية من وسط الجزيرة، بما في ذلك الربع الخالي (Zarins et. al. 1979, 1980, 1981)، وقد تطرقنا إلى هذا الجانب في دراسات سابقة (المعمري ٢٠٠٠: ٢٢). فإذا كان الأمر كذلك، فماذا كان إذاً في هذه المناطق، التي لم يوجد فيها أثر لثقافة الشطائر الشمالية، أيضاً، قبل وصول النمط الأثري الصحراوي إليها؟.

فقد تضاربت الاستنتاجات المتعلِّقة بالخصائص الأثرية عن العصر الحجري الحديث في عَسير، (Zarins et. al. 1981: 22). وما نستطيع قوله في هذا الجانب، هو أننا لم نجد بين الأدوات الحجرية، التي نشرت من عسير سوى رأس واحد من الموقع (٢١٧- ٧٤) (شكل ١ : ٧) في ظهران الجنوب أو (ظهران اليمن) (Zarins et. al. 1981: pl. 19: 6) حجمه (٢بم٨× ١بم٢× ٠بم٣) سم. وفي بيشة وجد رأس واحد معنَّق من الموقع (٢١١- ٥٨ ب) في الحمّة (شكل ١ : ٣٥) يبلغ حجمه (٣بم٨× ١بم٥× ٤،٠) سم.

وفيما يخص منطقتي حما وتثليث، فإنهما قريبتان إلى

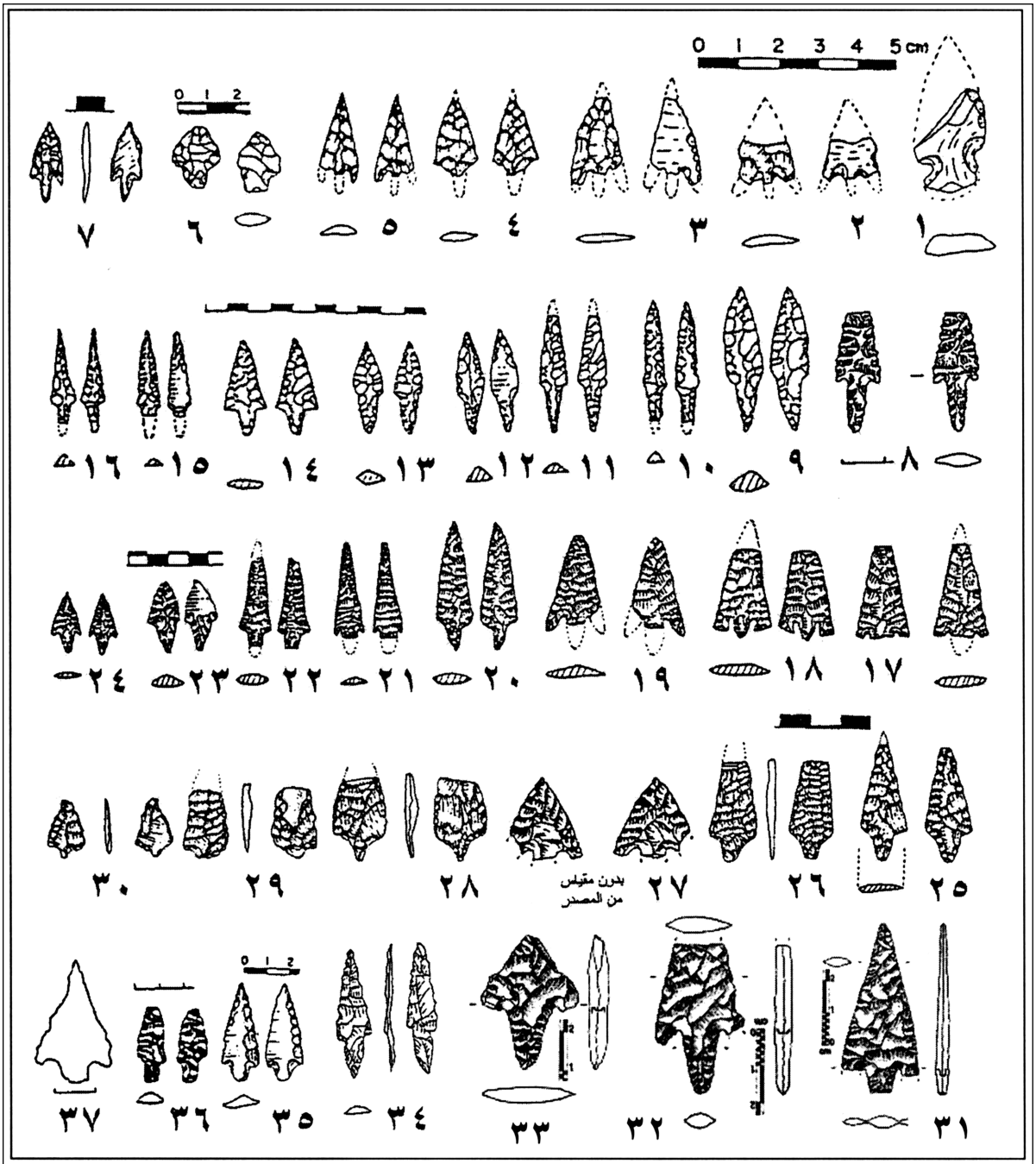

شكل ١- من الرؤوس الصحراوية العربية أو (الرؤوس المعنّقة المنتمية إلى النمط الصحراوي) التي انتشرت في المناطق الجنوبية الغربية والجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية:١-٥ من تُرْبة، ٦ من وقير في الطائف؛٧ من ظهران الجنوب في عسير؛٢٥، ٣٠ من بئر حما؛٢٦، ٢٨ من موادي تثليث،٢٩ من حمضة جنوبي تثليث؛٣٥ من بيشة، نقلاً عن: (Zarins et. al., 1980; 1981)؛٨ من وادي ضهر في حوض صنعاء، نقلاً عن:(Kallweit 1996)؛٩- ١٦ من موقع ابن حمودة،١٧-٢٤ من مواقع في ظفار في عُمان، نقلاً عن: (Zarins 1998)؛٣١-٣٤ من هضبة حضرموت:٣١-٣٣، نقلاً عن:(Crassard& Bodu 2004) و٣٤، نقلاً عن:(McCoriston et.al 2004) ؛ ٢٧ من جنوبي الحديدة، نقلاً عن:(Tozi 1986)؛٣٧ من وادي الثيلة في خولان، نقلاً عن:(Fedele 1986)؛ ٣٦ من هضبة ذمار، نقلاً عن:(ويلكنسن وآخرون ٢٠٠١).

المنطقة الصحراوية أكثر منه إلى المرتفعات؛ ولكن لا بد من الإشارة إلى ظواهر تستحق الذكر في بعض الرؤوس الصحراوية العربية التي وجدت في هاتين المنطقتين، وهي أن بعضها تُعدُّ من النوع المستدق بشكل تام تقريباً، وإن التهذيب فيها من النوع المستوي المتوازي وشبه المتوازي والمتلاقي أيضاً، والطويل نسبياً (شكل ١: ٢٥- ٢٦، ٢٨-٣٠).

٨- الرؤوس المعنّقة ذات العلاقة بالنمط الأثري الصحراوي في الطائف.

نشرت من جنوب شرقي الطائف زهاء ثمانية رؤوس سهام مجهِّزة على شظايا حجرية مستدقة الريشة أكبرها في الحجم (٤بم٣× ١بم٨× ٠بم٥) سم وأصغرها (١بم٥× ١× ٠بم٣) سم (Zarins et. al. 1980: Pl. 20A: 2, 20B: 1-4, 22)، سبعة من هذه الرؤوس معنَّقة ومرقَّقة من الجهتين، أمَّا الرأس الثامن فقد أفرد عنقه بشطرتين متقابلتين (الشكل ١: ١). رأس واحد من هذه الرؤوس من الموقع (٢١٠- ٤٩) في (وقير)، جهِّز من خام الزجاج البركاني (شكل ١ : ٦). وخمسة رؤوس من الموقع (٢١٠- ٧٦أ) في (تُربة) (شكل ١ : ١- ٥). ورأسان معنّقان من الموقع (٢١١- ٨٦) يبدو أنهما في منطقة (خرمة) على الطرف الشمالي الغربي من حرّة نواسف (Zarins et. al. 1980: Pl. 18A: 7, 14).

وفيما يخص التهذيب في هذه الرؤوس، فإنه لا يختلف في كثير من جوانبه عن التهذيب، الذي ذُكر في أغلب الرؤوس سالفة الذكر: مرقِّق من الجهتين، ونفِّذ بطريقة الضغط، ومن النوع المستوي وشبه المستوي والسعة الضيِّقة للأهداب والشكل الحرشفي في الغالب الأعم. وهذه الرؤوس تتطابق جميعها مع الرؤوس الصحراوية العربية في النمط الأثري الصحراوي.

خلاصة واستنتاجات

إن الرؤوس المعنَّقة، التي سلف ذكرها، في المناطق المحدَّدة في هذا البحث تتطابق مع الرؤوس الصحراوية العربية في النمط الأثري الصحراوي، بوجه عام. أو بعبارة أخرى، فإن هذه الرؤوس كأنها في موطنها الأصلي في الربع الخالي ورملة السبعتين، وإن ظهورها في بعض هذه المناطق قد يتزامن مع الفترة الثانية من تطوّر ذلك النمط في الصحراء، باستثناء المناطق القريبة من الربع الخالي ورملة السبعتين، التي يفترض أن تكون تلك البداية قد حدثت فيها في أوقات مختلفة من الفترة الأولى (لوحة ٢: ب)، مثل الأجزاء القريبة من الصحراء كهضبة حضرموت... الخ.

أمَّا في المرتفعات الجنوبية الغربية العالية، مثل حوض صنعاء وهضبة ذمار، فإن هذا الجانب قد يكون أكثر تأكيداً لنا. وهو أن تأثير النمط الأثري الصحراوي لم يصل إليها، إلاَّ في الفترة الثانية من تطوره في الصحراء؛ وإن بعض الرؤوس الصغيرة الحجم التي وجدناها في شبام الغراس ووادي ضهر، منها ما يعود إلى نهاية الفترة المذكورة، ومنها ما يتطابق مع فترة بُعَيِّد العصر الحجري الحديث في الصحراء، أيضاً، مستندين في ذلك إلى الحجم والنوع ولون البِلى في هذه الرؤوس.

وقد سجِّلت أدوات فترة بُعيد الصر الحجدي الحديث في المجموعة (و) من الترتيب الزمني النسبي بمظهر البِلى، سالف الذكر، (لوحة ١: ج)، وهي آخر فترة من الحقبة الحجرية، عاشها الإنسان في صحراء الجزيرة، وتدلُّ أدواتها على تقهقر نمط الصيد في هذه المنطقة. وهذه الفترة تتزامن مع جزء من العصر البرونزي، ومع بداية عصر الحديد في المرتفعات الجنوبية الغربية، علماً بأن صغر أحجام الأدوات قد يكون، في بعض الحالات، غير مرتبط بالعامل الزمني وحده، وإنما بعوامل أخرى، أيضاً.

فقد بات واضحاً الآن، أن النمط الأثري الصحراوي امتد من الإمارات العربية وعُمان في الشرق إلى الطائف وتهامة في الغرب، ومن جُبَّة وصحراء النفوذ في أقصى الشمال إلى حوض صنعاء وهضبة ذمار في الجنوب، باستثناء بعض المناطق، مثل هضبة المَهْرَة التي لم نجد فيها هذه الرؤوس، إلى الآن، وكذا بعض المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية من اليمن، مثل مرتفعات إب وتعز والضالع وأبين...الخ.

وعلى ضوء ذلك، يمكن القول إن النمط الأثري الصحراوي، مثَّل وحدة ثقافية في المناطق التي وجد فيها في الجزيرة العربية. ومن ثم فإن هذه الجزيرة أخذت تنصهر في معظمها، أو على الأقل المناطق التي وجد فيها هذا النمط، في وحدة ثقافيةً، في العصر الحجري الحديث المتأخر، أو أنها أخذت تتشكل في وحدات أو تجمُّعات إنسانية كبيرة متشابكة الصلات

الثقافية والعرقية فيما بينها، على أساس هذا النمط وتفرُّعاته، والتي يُحتمل أنها عرفت فيما بعد بالقبائل العربية، أو العربية الجنوبية، على وجه الخصوص.

بينما النمط الأثري المهري الذي فردناه، في فترة سابقة في المهرة وظفار العُمانية (شكل ٢) والآن في هضبة حضرموت، شكَّل المركز الثقافي الثاني في هذه المناطق الثلاث، بدرجة رئيسية.

فقد ظل هذا النمط في عزلة شبه تامة، كما يبدو، في المَهْرة ومحتفظاً بتقاليده، إلى جانب الاتجاهات الأثرية الأخرى، في كل من حضرموت وظفار العُمانية.

ولشدة الاختلاف الأثري بين النمطين الصحراوي والمهري في جوانب كثيرة، ومنها في الجانب الزمني أيضاً لبداية ظهورهما، فإننا ننظر إلى هذا الاختلاف أنه بمثابة اختلاف ثقافي. ولذا، فإننا نعبِّر عنهما، أحياناً، بمفهوم النمط الثقافي الصحراوي والنمط الثقافي المهري، مع أن جذورهما الثقافية قد تكون من أصل واحد، وهو ما ذهبنا إليه، في بعض الجوانب، أيضاً، (Rashed 1993c: 18).

أمَّا فيما يتعلَّق بالأدوات القزمية الهندسية الشكل التي وجدت في هضبة حضرموت وفي عُمان، أيضاً، فإنها تعبِّر، هي الأخرى، عن وجود علاقة ما، بين ظفار وهضبة حضرموت في نهاية العصر البرونزي وعصر الحديد، ومن المحتمل أن يُعثر عليها، أيضاً، في أماكن خاصة في المهرة.

وأمَّا الجذور الأثرية لهذه الأدوات التي كنَّا نبحث عنها في الجزيرة (المعمري ١٩٩٥: ١٠٧؛ ٢٠٠: ٢٣؛ ٢٠٠: ٤١)، فيبدو أنها مُسْتَمَدَّة، من خلال أساليب التفليق، من تقنية انتزاع الشطائر الحجرية من خام الأوبسديان السابقة لهذه الأدوات في الظهور، التي تأكد وجودها، أخيراً، في هضبة حضرموت.

فقد كانت هذه الأدوات تجهَّز في الغالب على شطائر حجرية، انتزعت من نُوي خاصة لهذا الغرض. كما أن الكثير من هذه الشطائر كانت تفلَّق بطريقة الضغط والوسيط أيضاً. وهذا ما تأكد وجوده، كذلك، من خلال مواد المصنوعة من الأوبسديان التي عُثر عليها، أخيراً، في هضبة حضرموت، وهي الأساليب المشتركة بين الأدوات القزمية وهذه التقنية، بصرف النظر عن الفوارق الزمنية بينهما.

ومن المحتمل، بوجه عام، أن تكون هذه التقنية (انتزاع الشطائر الحجرية من الأوبسديان) قد مثَّلت اتجاهاً أثرياً آخر في هضبة حضرموت، إلى جانب النمطين الصحراوي والمهري، استناداً إلى الأساليب التقنية، سالفة الذكر.

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه هنا، بصورة عامة في هذا السياق، هو أن الاختلاف في أنوع الأدوات والعناصر التقنية قد يكون عائداً إلى اختلاف في الزمن، هذا من جهة، غير أنه، من جهة أخرى، يعدُّ هذا الاختلاف مؤشراً رئيسياً لمعرفة هذا الاتجاه الأثري أو ذاك؛ وقد يُعبّر في الوقت نفسه عن اتجاهات ثقافية مختلفة، أيضاً؛ كما أن أنواع الأدوات والعناصر التقنية لا تمثِّل الثقافة كلها، ولكنها تعد جزءاً أساسياً فيها. وإضافة إلى ذلك،

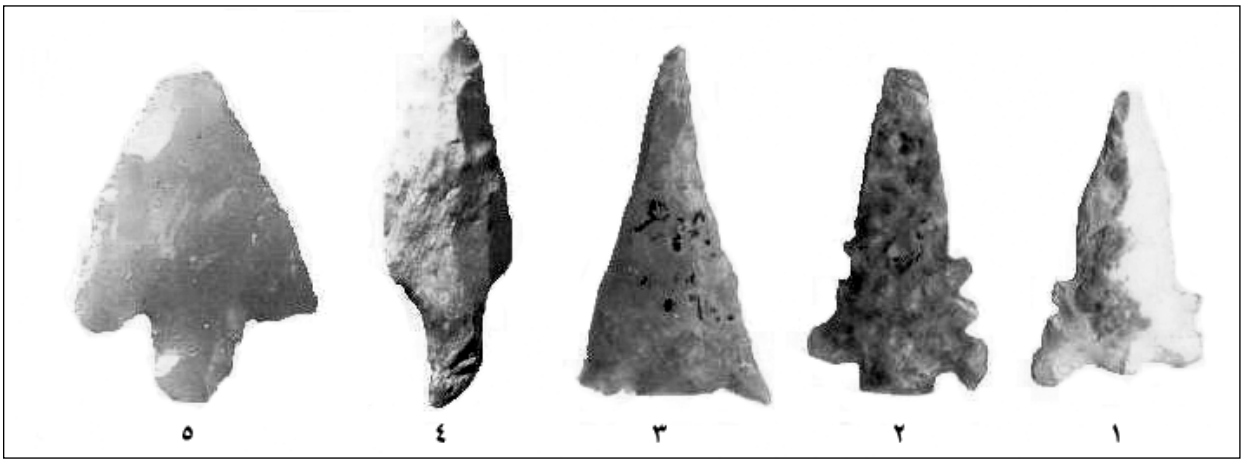

لوحة ٤: رؤوس سهام معنَّقة من النوع الصحراوي العربي أو (الرؤوس المعنَّقة المنتمية للنمط الأثري الصحراوي):- ١-٣ من موقع القلات في شبام الغراس؛ ٤-٥ من صَعْدة.

فإنها قد لا تعبِّر، في جميع الحالات، عن الجوانب العرقية (الإثنية) الحقيقية، بحكم الصلات المختلفة بين البشر، وهي الصلات التي قد يُصاحبها انتقال الأفكار التقنية، ولكن اغلبها، خاصة الرئيسية منها، ترتبط، في الغالب، بفئة محدَّدة من الناس.

ففي جانب الوحدة والاختلاف، اللذين أمكننا تمييزهما في النمط الأثري الصحراوي، ومن ثمَّ احتمالهما في التجمعات الإنسانية المرتبطة بهذا النمط، فإنه يمكننا أن نفرد أو نميِّز اتجاهاً أثرياً آخر، إلى جانب النمط الأثري الصحراوي، وهو اتجاه (الثمامة) في المنطقة الشمالية الشرقية من الرياض. ونعتقد أن هذا الاتجاه شمل، كذلك، عين دار الواقعة في منطقة البقيق شمالي الهفوف وجنوبي القطيف؛ وربَّما تظهر لهذا الاتجاه مواقع أخرى في شرقي الجزيرة أو في شماليها، حتى وإن كانت قليلة العدد.

فالأبحاث الأخيرة التي أجريت في الثمامة (الشارخ ٢٠٠٤) في الوقت الذي أكدت فيه قناعتنا السابقة في أن الرؤوس المرقَّقة من الجهتين الطويلة الحجم، التي نُشرت إلى جانب الرؤوس المعنَّقة المرقَّقة المجهَّزة على شظايا حجرية، (أبو درك وآخرون ١٩٨٤: لوحة ٩٨، ٩٩) صنعت من شطائر حجرية؛ فإنها في الوقت نفسه، أثارت فينا أسئلة مهمة واهتمامات علمية كثيرة. ومنها أولاً: عدم العثور على مثل تلك النماذج التي عُثر عليها من قبل في هذه المنطقة، علماً بأن منطقة الثمامة واسعة المساحة، وثانياً: فإن رؤوس السهام التي قُدِّمت نماذج منها، أخيراً، هي من ثقافة الشطائر وحدها، تقريباً، (الشارخ ٢٠٠٤: لوحة ١٠)؛ ولكن من الصعب أن نعطي حكماً نهائياً في هذا الجانب، ما لم يُنشر المزيد من هذه المصنوعات.

فالاتجاه الجديد يمثل مرحلة متأخرة من مراحل تطور النمط الأثري الصحراوي، كما يبدو، وخاصة في عين دار؛ ولكنه يتميز بخصائص تقنية ونوعية (Potts et. al. 1978: pl.18) تجعله يختلف في كثير من جوانبه عن خصائص النمط الأثري الصحراوي، على الرغم من الشبه الكبير والعلاقة الثقافية الواضحة المعالم بينهما، من جهة؛ ومن جهة أخرى، فإنه بالقدر الذي توجد فيه عناصر موحِّدة بين الثمامة وعين دار وبين النمط الأثري الصحراوي، فإنه بالقدر نفسه توجد اختلافات ثانوية ورئيسية، بين الثمامة وعين دار، من جهة، وبين النمط الأثري الصحراوي وكليهما معاً، من جهة ثانية.

فهذا الاتجاه، من المحتمل أن يُعد في الأساس من بقايا ثقافة الشطائر، استناداً إلى كثير من المؤن الحجرية التي جهِّزت عليها عدداً من هذه الرؤوس؛ ولكنه تأثر بتقاليد النمط الأثري الصحراوي في العصر الحجري الحديث المتأخر، استناداً إلى التهذيب المرقِّق وطبيعته التي وجدت في جميع هذه الأدوات، إن لم نقل أنه كاد أن يذوب في نطاق هذا النمط، حيث لا يمكن تمييز أوجه الاختلاف بينه وبين النمط الأثري الصحراوي بسهولة، وخاصة في عين دار، حيث تكثر الرؤوس التي جُهِّزت على فلق حجرية صغيرة الحجم، ويُصعب التمييز بينها وبين الشظايا التي جُهزت عليها الرؤوس المعنَّقة في النمط الصحراوي.

فمن المحتمل أن يكون هذا الاتجاه قد مثَّل نواة لتجمعات إنسانية أخرى في أجزاء من المناطق الشمالية والشرقية، عاشت إلى جانب التجمعات البشرية الآتية إليها من الجنوب حاملة تقاليد النمط الأثري الصحراوي. فقد يكون لهذه التجمعات صلة بما وصِف، فيما بعد، بالقبائل العربية الشمالية. إن لم يكن هذا التمايز يمثِّل أحد أوجه الاختلافات الزمنية في تطوُّر النمط الأثري الصحراوي نفسه، وهو ما نجده، أحياناً، في بعض هذه الأدوات ولا نجده، في الغالب، في أدوات أخرى كثيرة منها.

فلقد حدث لقاء واضح بين ثقافتي الشظايا والشطائر في شرقي الجزيرة وشماليها في العصر الحجري الحديث المتأخر، وقد رافق ذلك، كما نعتقد، ذوبان لثقافة الشطائر، أو أنها تقهقرت في اتجاه الشمال، بحكم الانتشار الواسع للرؤوس الصحراوية العربية في هذه المناطق، وفي كلا الحالتين لا بد من وجود جيوب أو (بقايا) لهذه الثقافة، التي يبدو أنها وقعت تحت تأثير النمط الأثري الصحراوي.

وفي جميع الحالات، فإن الجماعات البشرية التي اتجهت إلى الحياة المعيشية القائمة على الرعي، في الغالب، أو (حياة البداوة) بعد التقهقر الكبير لنمط الصيد، تعدُّ امتداداً، على الأرجح، لثقافتي الشظايا والشطائر، أو على وجه التحديد للاتجاهين الأثريين، سالفي الذكر؛ وهما اللذان تشكل على أساسهما الجنس العربي أو (الإثنية العربية) في المنطقة

الصحراوية، كما نعتقد، وقد كان للنمط الثقافي الصحراوي، بحكم انتشاره الواسع، الدور الرئيسي في هذا التشكل .

وبهذه الاحتمالات نكون، على الأقل، قد طرحنا مسألة وجود هذين الاتجاهين وعلاقتهما بثقافتي الشظايا والشطائر، سالفتي الذكر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية، مسألة العلاقة بين هذين الاتجاهين فيما بينهما، وارتباطهما، كذلك، بظهور الجنس العربي، أو بطبيعة التجمعات البشرية التي رافقتهما، ومن جهة ثالثة، علاقة النمط الأثري المهري بهاتين الثقافتين، مع أننا كنّا قد ربطنا هذا النمط بمبدأ التهذيب المرقَّق وبعض جوانب التفليق ونمط العيش بثقافة الشظايا (Rashed 1993c: 19) تاركين للأبحاث القادمة مهمة الحسم في هذه المسائل المعقَّدة وفي هذه الاحتمالات، أيضاً.

أمَّا ما يخص مميزات الاتجاه الأثري الجديد الذي فردناه في هذا البحث عن النمط الأثري الصحراوي، سالف الذكر، فقد أشرنا إلى بعضها في فترات سابقة (Rashed 1993b: 291 - 293) (المعمري ٢٠٠٢: ٣٨)، ويمكن تناول أوجه الشبه والاختلاف بينهما، بتفصيل أكثر، في أبحاث أخرى، على أساس أن البحث الحالي لم يكن مكرَّساً لهذا الجانب وحده، أضف إلى ذلك بأن النمط الصحراوي يمكن أن تُفرد فيه اتجاهات ثانوية، تتجلَّى ملامحها يوماً بعد يوم، ولنأخذ مثالاً على ذلك، مجموعتي ابن حمودة وظفار في عُمان، اللتين وصفتا، فيما سلف.

فهاتان المجموعتان على الرغم من انتماء أغلب أدواتهما إلى النمط الأثري الصحراوي، من حيث المبدأ، فإنهما تختلفان في بعض الجوانب عن بعضهما، وهذا الاختلاف يُحتمل أن يُعدُّ من مظاهر الاتجاهات الفرعية التي يمكن إفرادها في هذا النمط، فقد يكون هذا الاختلاف في مجموعة ابن حمودة ناتجاً عن تأثر النمط الأثري الصحراوي نفسه بالنمط الأثري المهري في دور التفليق والتهذيب، أيضاً، وفي مجموعة ظفار عن تأثر النمط، المذكور، بالنمط الأثري المهري في دور التهذيب، من جهة، وبثقافة الشطائر الحجرية أو بأدوات (فسد)، من جهة أخرى، في دور التفليق.

فمجموعة ظفار أثارت فينا الدهشة وكثيراً من الشجون، ففي عُمان التقت ثقافة الشطائر، كما يبدو، إضافة إلى أدوات "فسد" (Fasad) التي تُمثِّل اتجاهاً تقنياً ونوعياً خاصاً متميزاً في ظفار، وكذا النمط الأثري المهري والنمط الأثري الصحراوي، وقد احتملنا أن تكون المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا، التي عرفناها لأول مرة في منطقة (العَبْر)، قد وجدت في ظفار، أيضاً، استناداً إلى تقاليدها المتمثِّلة بمبدأ التهذيب المرقَّق من الجهتين، الذي وجد في النمط الأثري المهري (شكل ٢)، إضافة إلى جوانب أخرى في طُرق التفليق ونمط العيش. وهذه العوامل جعلتنا، كما سلف، نجد صلة بين النمط الأثري المهري وثقافة الشظايا في مرحلتها المبكِّرة (Rashed 1993c: 17, 19). أمَّا مسألة الحصول على فلق حجرية طويلة الحجم من مناكب النواة في هذا النمط، وهي خاصة بصناعة الرماح ورؤوس السهام، بدرجة رئيسية، فقد تكون مرتبطة بعوامل كثيرة، منها التأثر بثقافة الشطائر، إضافة إلى نوعية الخام؛ ولكن لسنا بصدد تفصيل هذه الجوانب في هذا المقال.

كما أن مجموعتي ظفار وابن حمودة جعلتنا نذهب، إضافة إلى كل من الرؤوس المعنَّقة التي عُثر عليها في الركن الجنوبي الغربي من الربع الخالي (McClure 1994) والاتجاه الأثري الذي فردناه في الثمامة و عين دار، إلى مسألة مهمة شغلت الباحثين منذ النصف الأول من القرن العشرين وحتى يومنا هذا، وهي مسألة البحث في الأصول الأثرية التي انحدرت منها الرؤوس الصحراوية العربية في شبه الجزيرة، والتي كانت تنسب إلى القارة الأفريقية، كما سلف الذكر، والمتمثِّلة، في المقام الأول، بوجود العنق والتهذيب المرقَّق من الجهتين.

حيث من المرجَّح أن فكرة إفراد العنق في هذه الرؤوس أتت من داخل الجزيرة العربية وليس من خارجها، من طريق التماس الثقافي بين ثقافة الشظايا وثقافة الشطائر في العصر الحجري الحديث المتأخر في الربع الخالي أو على أطرافه، هذا إن لم تكن تلك الفكرة نتيجة طبيعية للتطور الثقافي الداخلي في نطاق ثقافة الشظايا نفسها، كما أن مسألة إفراد العنق وجدت، كذلك، في النمط المهري.

فقد وجدت الرؤوس المعنَّقة غير المرقَّقة من الجهتين والمجهَّزة على شطائر حجرية في ثقافة الشطائر في العصر الحجري الحديث المبكِّر، أمَّا مسألة التهذيب المرقَّق من الجهتين وطرق التشظية في دور التفليق، التي تُعد من خصائص الرؤوس

الصحراوية العربية، فهما من تقاليد ثقافة الشظايا، نفسها، منذ أن ظهرت في جنوبي الجزيرة في العصر الحجري الحديث المبكِّر (لوحة ١، ٢) (Rashed 1993c: 16)، حيث لا توجد أدلة، في الوقت الراهن، ت سمح بربط هذه الرؤوس بجذور أثرية أُخر.

فقد وجد في رملة السبعتين زهاء ثلاثة رؤوس معنَّقة (Rashed 1993b: pl. 89, 90) (المعمري ٢٠٠٢: لوحة ٥: ٢١) تُذكِّر بالرؤوس المعنَّقة في الثقافة العاطرية، أو جزئياً بالرؤوس المعنَّقة من نوع "فسد" (Fasad) في عُمان، ورأسين آخرين من النوع نفسه وجدا في هضبة حضرموت، أحدهما نسب، مباشرة، إلى أدوات "فسد"، وأعِيد إلى الهولوسين المبكِّر؟ (McCorriston et. al., 2001: 69, Fig. 3: A) والآخر شاهدناه في أواسط التسعينيات من القرن المنصرم ضمن مواد حجرية في المعهد الألماني بصنعاء، إضافة إلى الرأس المرقَّق الحواف، سالف الذكر، من الموقع (٢١٧-٢٢) في حما، والرأس السابع من المَهْرة (Amirkhanov1997: Fig. 61: 2)، إضافة إلى بضع رؤوس وصفت بأن البعثة الفرنسية عثرت عليها، مؤخراً، في هضبة حضرموت، غير أن هذه الرؤوس لا تزال قليلة جداً ولا ت سمح، على الأقل، في الوقت الحاضر بإجراء أي نوع من المقارنة، علماً بأن (موكلور) عثر على مجموعة كبيرة منها في الربع الخالي ونسبها، مباشرة، إلى الثقافة العاطرية؟ (McClure 1994).

إن التشكل الجديد، سالف الذكر، في الجزيرة يبدو أنه ر سم الكثير من ملامح الحياة الإنسانية اللاحقة فيها، أمَّا الأسس الأولى للنمط الثقافي الصحراوي الذي قام عليه هذا التشكل ، بدرجة رئيسية، فقد وضِعَت في المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا المحلية أو (العربية) في العصر الحجري الحديث، وذلك من خلال: ظهور هذه الثقافة في المرحلة المذكورة في جنوبي الجزيرة (لوحة ٢: أ)؛ وسيطرتها على أراض كثيرة منها، كما نرجِّح، وخاصة بعد أن عثرنا، علاوة على ما ذُكر في منطقة العَبْر، على أدوات من أدوات هذه المرحلة في حوض صنعاء؛ واحتفاظها بوحدة عناصرها الثقافية الرئيسية طيلة تلك المرحلة، التي يبلغ مداها زهاء ثلاثة آلاف عام ويزيد، بدءاً من حوالي الألف الثامن ق. م إلى زهاء الألف الخامس ق. م، ومنها انتزاع الفِلق المشظأة والتهذيب المرقَّق من الجهتين؛ وكذا قيام هذه الثقافة، في المرحلة المذكورة، بعرقلة ثقافة الشطائر، سالفة الذكر، من التوسع في اتجاه الجنوب؛ وأخيراً تمخُّضها عن النمط الأثري الصحراوي، كما نرجِّح، استناداً إلى طرق التشظية والتهذيب المرقَّق من الجهتين في هذا النمط، الذي اشتملت سيطرته أو تأثيراته، كما سلف القول، على معظم الجزيرة، بدءاً من ظهوره في الركن الجنوبي الغربي من الربع الخالي ورملة السبعتين، كما نعتقد، وانتهاءً بأفوله التدريجي في فترة بُعيد العصر الحجري الحديث في الصحراء، أو على الأصح انتهاء دور الأدوات الحجرية الرئيسية التي كانت تميِّز هذا النمط عن غيره في مرحلة الصيد، حيث استبدلت بأدوات جديدة تتلاءم مع طرق العيش في العصر الحديدي.

وأخيراً فإننا نؤكد من جديد، في هذا البحث، النتائج الرئيسية التي كنّا قد توصلنا إليها في رسالة الدكتوراه (Rashed 1993b. 1993c)، ومنها ما نُشر لنا في مقالات أخرى، أيضاً، (Rahed 1993a) (المعمري ١٩٩٥، ٢٠٠، ٢٠٠٢) (Al-ma'mari 2001) حول وجود المرحلة المبكِّرة من ثقافة الشظايا في العصر الحجري الحديث (لوحة ٢: أ) وبأن هذه الثقافة ذات منشأ محلي، وأن النمط الأثري الصحراوي (لوحة ٢: ب) من المحتمل أن يكون انبثق عنها، ولم يأت إلى الجزيرة من خارجها، كما كان يَعْتقد أغلب الباحثين من قبل، وبأن العكس قد يكون صحيحاً، وهو انتشار النمط الأثري الصحراوي من الجزيرة العربية إلى خارجها، وليس من خارجها إليها، وهي الصلة التي قيَّدناها بدءاً بالمجموعة (ج)، وأن للنمط الثقافي المَهْري، الذي كوَّن وحدة ثقافية في المهرة وهضبة حضرموت وظفار، علاقة بهذه الثقافة، على الأقل في مبدأ التهذيب المرقَّق من الجهتين وبعض الطرق التقنية الأخرى.

د. عبد الرزاق راشد المعمري - قسم الآثار / جامعة صنعاء - ص.ب (١٣٩٢٤) صنعاء/ معين - الجمهورية اليمنية.

الهوامش

١- ذكر لنا رئيس فرع الهيئة العامة للآثار في ذمار (علي السنباني) بأنه كان يخزِّن مجموعة من هذه الرؤوس المنقَّبة عُثر عليها في هضبة ذمار في موقعي الشرف وزَبل، وحسب إفادته فإن أغلبها من الزجاج البركاني وإن الباحثين الأمريكان أخذوها للدراسة، والذين أفادوا بدورهم، عندما طلبنا مشاهدتها، أنها أخذت إلى أمريكا للغرض نفسه، أيضاً.

٢-أطلعتنا د. مديحة رشاد على صور لمجموعة كبيرة من هذه الرؤوس التي وجدت في صعدة، ومنها صورتين لرأسين كنَّا قد تعرَّفنا عليهما في ١٩٩١م أثناء تسليمهما مع أدوات حجرية أخرى إلى المتحف الوطني بصنعاء، وهما من الجبل المخروق، حسب قولها، ويبدو أن الرأس الصغير فيهما (لوحة ٣: ١٣) هو الذي نُشرت صورته في كتاب (اليمن في بلاد ملكة سبأ) (إنيزان ١٩٩٩: ٢٤).

المراجع

أولاً: المراجع العربية:

أبو درك حامد، عبد الجواد مراد، محمد البراهيم ١٩٨٤، "الاستكشافات والتنقبات الأثرية في موقع الثمامة الذي يرجع تاريخه إلى العصر الحجري الحديث". **أطلال**، العد ٨: ٩٧- ١٠٣، الرياض.

الشارخ عبد لله بن محمَّد "دراسة آثارية لموقع الثمامة: النتائج الأولية". **أدوماتو**، العدد ٩: ٧- ٣٢، الرياض.

المعمري عبد الرزاق راشد ١٩٩٥ "العصر الحجري الحديث في جنوب الجزيرة العربية". **الثقافة**، العدد٢٠: ٩٨-١١٢، صنعاء.

المعمري عبد الرزاق راشد١٩٩٠، "أدوات أثرية داخل الحرم الجامعي". **الثورة**، العدد ٩٨١٤ (٣٠/ ١٠)، صنعاء.

المعمري عبد الرزاق راشد ١٩٩٦ "مخلّفات أثرية لإنسان ما قبل التاريخ في حوض صنعاء". **الندوة العلمية الأولى للآثار اليمنية**، الجزء الأول ص ٨٧- ١٢٠، صنعاء. .

المعمري عبد الرزاق راشد ٢٠٠٠، "ثقافتان من العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية". **أدوماتو**، العدد ١: ٧-٢٩ ، الرياض.

المعمري عبد الرزاق راشد٢٠٠٢. "إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية". **أدوماتو**، العدد ٥: ٢٣-٤٤، الرياض .

إنيزان ماري- لويز ١٩٩٩ "الإنسان الأول في جزيرة العرب". **اليمن في بلاد مملكة سبأ**، ص ٢٢-٢٥، دمشق.

إيدينز كرستوفر، ويلكنسن ت. ج. ٢٠٠١، "جنوب شبه الجزيرة العربية في العصر الحجري الحديث". **دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة-٤**، ترجمة: د. ياسين محمود الخالصي، مراجعة نهى صادق، ص ١- ٩٦ .

رشاد مديحة، العاضي امة الباري، الماوري أمين ٢٠٠١. **تقرير شامل لأعمال ونتائج المسح الأثري للرسوم الصخرية لما قبل التاريخ بمحافظة صعدة**. الهيئة العامة للآثار، الموسم الأول سبتمبر.

ويلكنسن ت. ج.، أيدينز كريستوفر، غيبسن م. ٢٠٠١، "آثار المرتفعات اليمنية تسلسل زمني تمهيدي". **دراسات في الآثار اليمنية (من نتائج بعثات أمريكية وكندية)، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة الدراسات المترجمة-٤**، ترجمة: د. ياسين محمود الخالصي، مراجعة نهى صادق، ص ١- ٩٦ .

المراجع

ثانياً: المراجع غير العربية:

Al-Ma'mari A.R., 2001 ." Investigations of the Neolithic on the Arab Peninsula: Present State and the Problems", **Russian Archaeology**, 1: 5-14.

Amirkhanov H.A.,1997. **The Neolithic and Postneolithic of the Hadramaut and Mahra**. Moscow. (in Russian).

Biagi P., 1988. " Survey Along the Oman Coast: Preliminary Report on the 1985-1988 Campaigns". **East and west**, Vol. 38-nos 1-4: 271-291.

Bunker D.G.,1953. "The South-West Borderlands of the Rub al-Khali". **Geogr. J.**, London, Vol. CXIX:420-430.

Caton-Thompson G. 1944. **The tombs and Moon Temple of Hureidha (Hadramaut)**, Reports of Research Committee of the Society of Antiquaries of London. NXIII. Oxford-London.

Caton-Thompson G. 1954. "Some Palaeolithic from South Arabia." **Proceeding of the Prehistoric Society**, New series. London, December, v.XIX:189-218.

Crassard R., & Bodu R., 2004. "Préhistoire du Hadramawt (Yémen): nouvelles perspective", **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, 34: 67-84.

Edens Ch.,1982. "Towards a definition of the western ar-Rub al'Khali "Neolithic". **Atlal**, 6: 109-125.

Fedele F.G.,1986. "Neolithic and protohistoric culture". **East and west, IsMEO**, vol, 6, No. 4: 396-400.

Fedele F.G.,1988. "North Yemen: The Neolithic in Yemen", **Yemen 3000 years of Art and Civilisation in Arabia Felix**. Innsburg-Frankfurt /Main, 1988: 34-41.

Field H., 1958. "Stone implements from the Rub al'Khali". **Man**, June: 93-94.

Garcia M., Rachad M., Hadjouis D., Inizan M.-L, and Fontugne M., 1991. "Découvertes préhistoriques au Yémen, le contexte archéologique de l'art rupestre de la région de Saada", **Comptes Rendus de l'Academie des Sciences de Paris,** 313 (Sér. II): 1201-1206.

Garcia M., Rachad M. 1997. **L'art des origines au Yémen**, Paris.

Gramly R.M., 1971. " Neolithic flint implement Assembages from Saudi Arabia", **Journal of Near Eastern Studies**, Vol.30.No.3: 177-185.

Hugot H.J.,1957. "Essai sur les armatures de pointes de fleches du Sahara", **Libica**: 89-236.

Huyzayyin S.A., 1937. "Egyptian scientific Expedition to South West Arabia", **Nature**. Sept.18: 513-514.

Inizan M-L.,1988. **Prehistoire `a Qatar. Mission archaeologigue francaise `a Qatar,** Edition rechercher sur les Civilisation. Paris.

Kapel H.,1967. **Atlas of the Stone Age Cultures of Qatar**, Jutland Archaeological society Publication, vol.VI, Denmark.

Kallweit H.,1996. **Neolithische und Bronzezeitliche Besiedlung im Wadi Dhahr, Republik Jemen**, Inaugural-Dissertation zur Erlangung der Doktorwurde der Philosophischen Fakultaten der Albert-Ludwigs-Universitat zu Freiburg i. Br.

Kallweit H.,2000. " Neolithische Funde und Fundstellen im Jemen". Im **Land der Konigin von Saba**. Munchen,7 Juli 1999-9 Januar 2000:47-59.

Masry A.,1974. **Prehistory in the Northeastern Arabia: the Problem of Interregional Interaction**. Field Research Projects. Miami.

McCorriston J. Oches E., et. al.,2000. **Interim report to the general organization of Antiquities, Museums and Manuscripts, Republic of Yemen. RASA 2000.**

McCorriston J. Oches E. A. Walter D. E, Cole K. L. 2002. "Holocene Paleoecology and Prehistory in Highland Southern Arabi",. **Paléorient**, vol. 28/1, 61-88.

McCorriston J., Oches E. A., Bin 'Aqil A. J., 2004. "Roots of Agriculture in Southern Arabia (RASA) Interim Report 2004:(Field research 22 January-6 March)". **(Interim report to the general organization of Antiquities, Museums and Manuscripts, Republic of Yemen).**

McClure H.A.,1979. " The Arabian Peninsula and Prehistory Population", **Miami Research Project**, Study, No. 58. Miami..

McClure H.A.,1976. "Radiocarbon chronology of late Quarternary lakes in Arabian Desert", **Nature**, vol. 263, Oct. 28: 755.

McClure H.A.,1994. "A new Arabian stone tool assemblage and notes on the Aterian industry of North Afri-

ca", **Arabian Archeology and epigraphy**,Vol.5. No.1: 1-16.

Parr, Peter.J., Zarins J., Muhammed Ibrahim, Waechet J., Garrard P., Clarke C., Bidmead M., Hamad Al-Badr, 1978. "Preliminary Report on the second phase of the Northern Province Survey", **Atlal**, Vol.2: 29-51.

Potts D. T., al-Mughannum A. S., Fry J., Sanders D., 1978. "Comprehensive Archaeological Survey Program: Preliminary Report on the Second Phase of the Northern Province", **Atlal**, vol.2:7-27.

Rashed A. A., 1993a. "On the patinization of the neolithic tools from the South Arabia (the materials of al-Abr region)", **Russian Archaeology**, vol.2: 24-33.

Rashed A. A., 1993b. Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhikotipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Dissertatsiya na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg.(Unpulbished Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg).

Rashed A. A., 1993c.Nieolit Yuzhnoi Aravii (tekhikotipologicheskii analiz kamennogo inventarya). Aftoreferat dissertatsii na soiskanie uchyohnoi stepeni kandidata istoricheskih nauk. Sankt-Peterburg. (Abstract of Ph.D. dissertation. University of Sankt-Petersburg).

Smith P., Maranjian G, 1962. "Two "Neolithic" collections from Saudi Arabia", **Man**, Febr., No.16, 17: 21-22.

Sordinas A., 1973. "Stone Implements from Jabrin, Jebel Diran, Hofuf and Adjoining Surface Sites in Saudi Arabia", **Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia: II**. Field Research Projects. Miami.

Sordinas A., 1978. "The Zimmerman Collection from the Northern Frigne of the Rub' Al-Khali", **Contributions to the Archaeology of Saudi Arabia: III**. Miami.

Takeshi G., 1981. "A Stone Age Collection from the Rub' Al Khali Desert". B**ulletin of the Ancient Orient Museum**, Vol.III. Tokyo:1-15.

Tosi M.B., 1986. "Survey and Excavation on the Coastal Plain (Tihamah)". **East and West**, IsMEO, vol.36,nos.4 (December): 400-414.

Zarins J., Mohammad Ibrahim, Potts D., Edens Ch., 1979. "The Preliminary Report on the Third Phase of the CASP - the Central province", **Atlal**, vol.3:9-42.

Zarins J., Whalen M., Mohammad Ibrahim, Abd Al-Jawad Morad, Majid Khan, 1980. "The Preliminary Report on the Central and South-Western Provinces Survey 1979", **Atlal**, vol.4:9-36.

Zarins J.,Abd Al-Jawad Murad, Khalid S. Al-Yish, 1981. "The second Preliminary report on the south-western province", Atlal, vol.5:9-42.

Zarins J., and Zahrani A, 1985. "Resent archaeological investigations in the southern Tihama plain, 1404/1984", **Atlal**, Vol. 9: 65-107.

Zarins J., and Badr H. 1986. "Archaeological investigation in the Tihama plain II 1405/1985", **Atlal**, vol. 10: 35-57.

Zarins J.,1998. **Dhofar-Land of incense. Archaeological Work in the Sultanate of Oman 1990-1995,** Sultan Quaboos University Publications.

Zeuner F.E.,1954. "Neolithic" site from the Rub-Al-Khali, Southern Arabia". **Man**. 209:133-136.